وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان

الاغتراب النفسي للشخصية في رواية "المتمردة" لمليكة مقدم

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين:

- ✓ أحلام دوخان
- ✓ سعاد بورويس

تحت إشراف الدكتور:

– بشير أعبيد

لجنة المناقشة:

اللقب والاسم	الرتبة	الصفة
عباس حشاني	أستاذ محاضر ب	رئيسا
بشير أعبيد	أستاذ محاضر ب	مشرفا ومقررا
محمد الطاهر بوشمال	أستاذ مساعد أ	ممتحنا

السنة الجامعية: 1441–1442هـ

2020–2021م

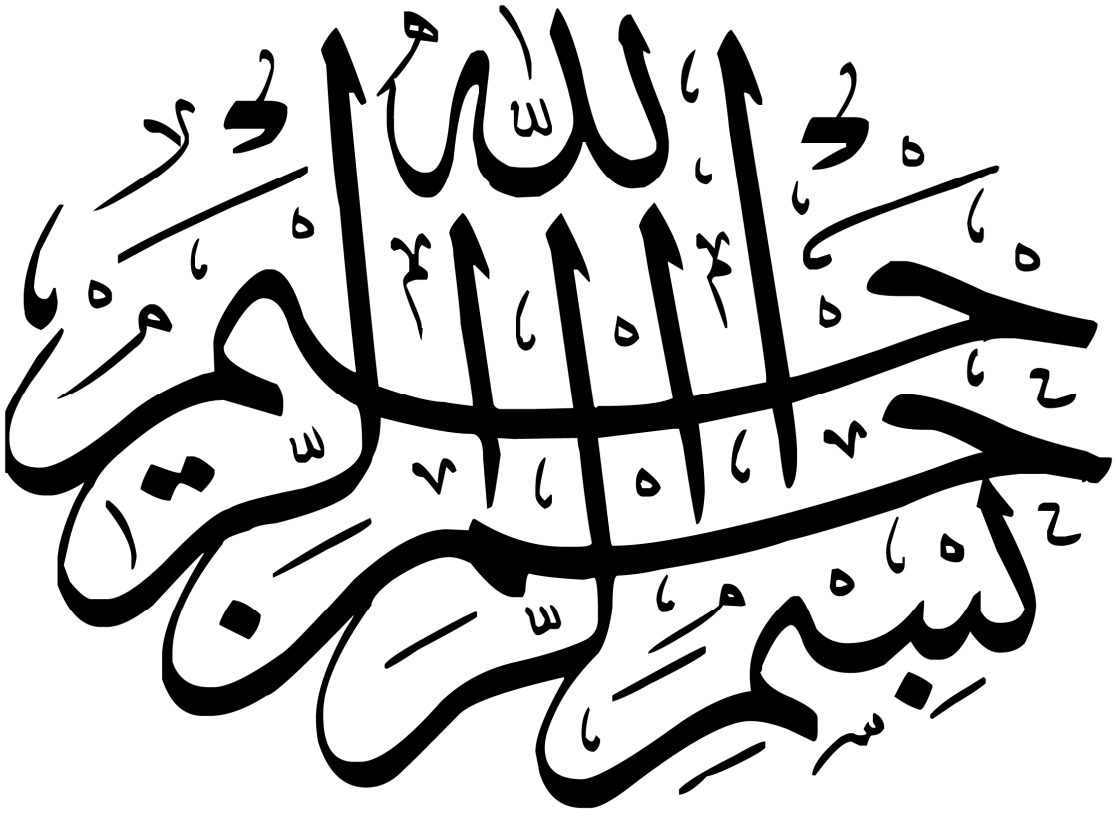
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والشكر لجلاله سبحانه وتعالى الذي أعاننا على إنجاز هذه المذكرة، الله صلي على محمد وعلى آل محمد وبعد:

فبعد أن أتممنا مذكرتنا أستدكرنا الجهود التي تسببت في وصولها إلى شاطئ الأمان

ونجد أنفسنا في كلمة لابد أن نذكرها

وهي أن العمل قد تم على ما هو عليه بفضل الله تعالى أولا

وبفضل الذين كانت لهم الأيادي البيض عليه

وهذه الكلمة نتوجه فيها إلى الله بالدعاء والشكر إلى من أفادنا من العلم حرفا

وإلى كل من قصدناه فأعاننا واستنصحناه فنصحنا وحدثنا فصدقنا

ولا يسعنا بعد أن أنجزنا هذه الدراسة بعون من الله وتوفيقه إلا أن نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان وخالص التقدير والعرفان إلى الذي أشرف على هذه الدراسة

إلى الأستاذ الفاضل "**بشيـــــر أعبيـــد**"

كما نشكر كل نفس مدت لنا يد العون في هذا المسار عن كل كبيرة وصغيرة بقلة أو بكثرة...

إلى أساتذة اللغة والأدب العربي

إلى كل من لم يتسع له مكان على هذا الورق فقلوبنا ليس لها أوراق....

لكم جميعا ثمرة خمس سنوات كان فيها العلم شعارنا والقلم سلاحنا

فشكرا لكرمكم وجزاكم الله خير جزاء

ونسأل الله التوفيق والسداد

أحلام سـعاد

مقدمـــة

مقدمــة:

لم تكن الرواية الجزائرية في معزل عن الحراك الأديولوجي الذي شهدته الساحة الأدبية العربية بكل تفاصيله، محاولة فرض واقع جديد يتحكم بأبجديات الكتابة الروائية، واقع يتبنى فكرة الارتقاء بالتشكيل الروائي الجزائري في الوقت الذي تهاوت فيه الكثير من المحاولات التي أبانت عن ضعف بدا، وكأنه أبعد عن المفهوم الحقيقي للرواية في أبسط تمظهراتها، الشيء الذي دفع بالكثير من الأقلام التي توفرت لها ملكة الإبداع الروائي أن تستثمر في هذه الجدلية متحدية الظروف الصعبة المحيطة بالتجربة الأدبية الجزائرية، وتفاعلها المستمر مع راهن وواقع تعكسه التوجهات التي تناولتها هذه الأعمال الروائية بكل صدق وموضوعية، من خلال مد جسر بين هذا الواقع وبين الرواية على اعتبارها أنها أقرب الأجناس الأدبية إليه، والأقدر على الإلمام بدراسة مختلف الظواهر، وما يصاحبها من اختلاجات فلسفية ونفسية تؤطر لحركة روائية حداثية تأخذ بمكونات العملية السردية، وتؤسس لتفاعل روائي متكامل يميل بالتجربة الروائية الجزائرية إلى صهر هذه المكونات السردية في نماذج مهيأة لتجاوز الحدود الجغرافية وامتلاك القدرة على نفيها، ولو جزئيا بسبب ما تفرضه من هذه الحدود من قيود مرتبطة بواقعين مختلفين على الأقل يصعب التخلص منها، مما يولد صراعا نفسيا يغذيه التناقض ويسنده الحنين ويعلوه الاغتراب، وهذا هو حال الروائية مليكة مقدم عندما غذت حياتها ثقيلة الاحتمال، وهي تستشعر مرارة الاغتراب بجل أنواعه، وخاصة في روايتها المتمردة التي اتخذناها كموضوع للبحث ووسمناه بعنوان: "**الاغتراب النفسي للشخصية في رواية المتمردة لمليكة مقدم**"، ولم يكن اختيارنا لهذا الموضوع عبثا، إنما لدوافع خاصة تتمثل في غياب أي دراسة للاغتراب النفسي في هذه المدونة على حد علمنا، وكذا رغبتنا في معرفة ماهية الاغتراب النفسي ومظاهره، وكيفية تعامل الروائية معه، وكذا محاولتنا الولوج داخل شخصية الكاتبة ومحاولة التعرف على بعض خفايا حياتها وهي تعيش الغربة النفسية، محاولين بذلك الإجابة عن الإشكالية المطروحة حول هذا الموضوع والتي جاءت كالتالي:

فيما تكمن حقيقة الاغتراب النفسي للشخصية؟ وكيف تجلت مظاهره على شخصية مليكة مقدم؟

وتطرح هذه الإشكالية أسئلة فرعية منها :

-كيف تعاملت ذات الكاتبة مع بواعث الاغتراب ؟

-وهل توقفت عند السرد والترديد أم حاولت التجاوز والتحدي ؟

كل هذه التساؤلات دفعتنا إلى وضع خطة عمل للإجابة عنها قسمناها إلى مدخل وفصل نظري و فصل تطبيقي مع مقدمة وخاتمة.

جاء عنوان المدخل ب"**مفاهيم منهجية**"تضمن مفهوم الاغتراب من الناحية اللغوية والاصطلاحية وأوجه التشابه والاختلاف بينه وبين مصطلح الغربة،أيضا تطرقنا فيه إلى مفهوم كل من الاغتراب النفسي والشخصية والمقصود بالاغتراب النفسي للشخصية،يليه الفصل الأول **بعنوان ماهية الاغتراب النفسي ونظرياته** تناولنا فيه: النظريات المفسرة للاغتراب النفسي، أسباب الاغتراب النفسي للشخصية، أنواع الاغتراب.

أما الفصل الثاني عنوناه ب:**تمظهرات الاغتراب النفسي للشخصية** تناولنا فيه السيرة الذاتية للكاتبة مليكة مقدم، التعريف بالمدونة، وملخص لها،كما تطرقنا إلى بواعث الاغتراب النفسي، وأخيرا مظاهر الاغتراب النفسي لننهي هذه الدراسة بخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج التي استخلصناها من البحث.

ولضرورة المنهجية اتبعنا المنهج النفسي في هذه الدراسة باعتباره المنهج الأنسب لرصد الحالات النفسية والسلوكات اللاشعورية التي تنتاب الروائية، من خلال ما تسرده في سطور روايتها.

وإعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على مجموعة من المراجع كان لها الأثر البليغ في تزويدنا بمعلومات متواضعة حول موضوعنا نذكر منها:

-أحمد علي الفلاحي الاغتراب في الشعر العربي.

-فيصل عباس الاغتراب وشقاء الوعي.

-فيصل عباس الإنسان المعاصر في التحليل الفرويدي.

- عبد اللطيف محمد خليفة دراسات في سيكولوجية الاغتراب.

في سبيل إعداد هذه الدراسة الأدبية واجهتنا بعض الصعوبات فمنه ما تعلق بظاهرة الاغتراب النفسي باعتبارها ظاهرة متشعبة جدا فتعددت مظاهرها، وصعوبة تطبيق المنهج النفسي إضافة إلى الظرف الاستثنائي الذي عانت منه المؤسسات الجامعية بسبب وباء كورونا حيث أعاق عملية البحث.

في الأخير نحمد الله عز وجل على توفيقنا في إتمام هذا العمل،كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف **بشير أعبيد** على ما بذله من جهد في سبيل تنويرنا وإرشادنا إلى المنهج السليم وتشجيعه الدائم لنا.

مدخل

مفاهيـــم منهجيـــة

يعد الاغتراب ظاهرة إنسانية اجتماعية قديمة قدم الإنسان، نمت جذورها مع نمو الذات الإنسانية وأصبحت من القضايا الشائكة التي تطرق إليها العديد من الباحثين والدارسين وعلماء النفس والاجتماع والفلاسفة، لتتعدد بذلك مفاهيم هذا المصطلح بتشعب منابع دراسية.

ومن ثمة كان الاغتراب من المواضيع التي لا يمكن حصر مفهومها في مجرد مفهوم واحد أو مفهومين لكثرة الدلالات التي ينفتح عليه، سيما أن كل دارس تناوله حسب مجال بحثه، فعلماء النفس مثلا فصلوا فيه من جانب سيكولوجي، بينما تناوله علماء الاجتماع من ناحية اجتماعية محضة، أم الأدب فقد تناوله من خلال أعمال الأدباء التي عجت بهذه الظاهرة قديما وحديثا.

إنها ظاهرة تساير حياة الإنسان عبر العصور وتأخذ أشكالا مختلفة من عصر إلى آخر.

وفيما يأتي سنتطرق إلى بعض المفاهيم التي تناولها الباحثون والعلماء في أصل مصطلح الاغتراب الذي استوطن ذات الفرد كحالة شعورية تخالج المرء أولا وكظاهرة أدبية اتسمت بها الأعمال الأدبية ثانية، كما سنقف عند نوع من أنواع الاغتراب وهو الاغتراب النفسي للشخصية.

1- تعريف الاغتراب:

1-1 الاغتراب في المعجم:

بالعودة إلى المعاجم العربية اللغوية نجد أنها قد أعطت للفظة الاغتراب عدة معاني منها ماجاء في "لسان العرب" أن الاغتراب و«الغربة والغُربُ: النزُوح عن الوطن والاغترابُ، قال المتلمس:

ألا أبلغا أفناء سعدِ بن مالك

رسالة من قد صار، في الغُربِ، جَانبَهْ

والاغترابُ والتغرُّب كذلك؛ نقول منه: تَغَرّبَ، واغتربَ، وقد غرّبهُ الدهرُ، ورجل أُرُب، بضم الغين والراء، وغريب: بعيد عن وطنه؛ والجمع غُرباء، والأنثى غَريبة»[1] فمعنى الاغتراب هنا يدل على الابتعاد والنزوح فهو إذا اغتراب مكاني ينقل الشخص من مكان إلى آخر.

وجاءت اللفظة في قاموس "المحيط" بمعنى «النّوى والبُعدُ، كالغُربة وقد تَغرّبَ. وبالضم: النزوح عن الوطن، كالغُربة والاغترابِ والتَغرُّب»[2]

والمعنى نفسه ورد في معجم الوسيط حيث جاءت لفظة «غَرُبَ عن وطنه غَرابةٌ، وغُربة: ابتعد عنه و-الكلام غرَابة: غَمَضَ وخَفي. فهو غريب-(ج) غُرباءُ. وهي غريبة»

« (اغترب): نزح عن الوطن»[3] فهو إذا الابتعاد والانفصال ومفارقة الوطن.

وتذهب المعاجم الحديثة من قبيل "معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة" إلى أن لفظة الاغتراب مأخوذة من «غرّب تغريبا: بَعُدَ، نزح عن وطنه، اغترب.

- فلانا: أبعده ونفاه. حَمَله على الغربة.

---

[1] ابن منظور(أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري): لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، 2005م، مجلد1، ص23.

[2] الفيرزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): قاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، 1425هـ، ص146.

[3] إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1426هـ/2005م، ص647.

- مفارقة الوطن، تغرّب، اغْتراب؛ نزوح عن الوطن»[1]

أي أنها تحمل المعنى ذاته الذي ورد في المعاجم القديمة، ومن ثم فالمعاجم العربية القديمة والحديثة منها على حد السواء أعطت لفظة الاغتراب معنى واحد متمثلا في ابعد والانفصال والنزوح وترك الوطن والأهل.

بينما اتخذت اللفظة معنى مختلفا-نوعا ما-في المعاجم الأجنبية حيث نجد في تعريف لها أنها تقابل «الكلمة الإنجليزية alienation، وهي اسم مستمد من الفعل اللاتيني alienare والذي يعني نقل ملكية شيء ما إلى آخر»[2]

كذلك اتخذت كلمة alienation معاني أخرى إلى جانب معنى نقل الملكية مثل «تنفير، إبعاد، اختلال عقلي، عزلة انسلاخ واستلاب » [3]

وبالتالي فإن الاغتراب في المعاجم الأجنبية اقتصر على ثلاث معان مختلفة هي:

المعنى الأول: يدل على تحويل ونقل ملكية شيء ما إلى شخص آخر

المعنى الثاني: هو الابتعاد عن الذات بسبب فقدان الإنسان لقدرته العقلية.

المعنى الثالث: هو الشعور بالغربة والنفور من المجتمع.

لتتفق في الأخير مجموعة المعاجم السابقة على الدلالة نفسها في أن الاغتراب هو الابتعاد والانفصال والنفور.

فهل تجمع التعريفات الاصطلاحية للاغتراب على المعاني نفسها أم لا رؤية مختلفة.

1-2الاغتراب في الاصطلاح:

يحمل مصطلح الاغتراب دلالات ومعاني عديدة ومختلفة جعلته يتسم بالغموض والإبهام، فهو سمة ثابتة متماشية مع الإنسان منذ الأزل حيث:« يتجه نحو استلاب الذات عندما يكون اتجاه سلوك الفرد باتجاه مغاير

---

[1] يوسف محمد رضا: معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص1108.

[2] فيصل عباس: الاغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 2008م-1429هـ، ص19.

[3] محمد الهادي بوطارن: الشعر العربي الرومانسي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2010م، ص22.

للأهداف التي يتطلع إليها فيحدث تصادم بين أهداف الفرد ، وتعذر تحقيق الاتفاق بينها، فينتج عنه مشكلة خطيرة للفرد تتمثل في صعوبة المواءمة الذهنية مع مفردات واقعه الذي يعيشه»، [1] فيشعر بالعجز نتيجة تنافر أهدافه واستحالة تطبيقها على أرض الواقع، ما يولد داخله شعور الانفصال عن الآخرين بصفة عامة، وعن ذاته بصفة خاصة.

ليضحى الاغتراب حالة نفسية قابعة في أعماق النفس الإنسانية تبلورت اثر سخط الإنسان وتمرده وعدم انسجامه مع البيئة التي يحيا فيها.

- **الاغتراب في الفكر العربي:**

يرى الفيلسوف الألماني هيجل أن الاغتراب هو:« تلك العملية التي من خلالها يفقد الإنسان جزء من ذاته في الوجود الخارجي، وفي هذا الفقد إمّا أن تعثر الذات على نفسها في العالم الذي أنتجته، فتتكامل مع ذاتها، وإمّا أن يكون العالم الذي أنتجته الذات غريبا عنها، ولاينتمي إليها، بل ويقف عدوا لها». [2]

فمفهوم الاغتراب عند هيجل يرتبط بالدرجة الأولى بالذات الإنسانية؛ حيث تحدث قطيعة بينها وبين العالم الخارجي لتصنع بذلك عالمها الخاص الذي إما أن تتوافق أو تتنافر معه فتجد نفسها في حالة ضياع في كلا العالمين.

ويرجع هيجل سبب انفصال الذات عن العمل الآخر إلى «ظروف العمل والإنتاج التي تعقدت بمرور الزمن، ويكفي أن الإنسان اخترع الآلة لتكون في خدمته، فإذا به يجد نفسه في خدمتها، وتحت رحمتها، بل إن مصيره أصبح مرتبطا بها مما أحال كيانه الواثق القديم إلى ريشة في مهب الريح»[3]

---

(1) أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي، في القرن السابع الهجري-دراسة اجتماعية نفسية- ، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013م، ص17.

(2) فيصل عباس: الاغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، ص10.

(3) ذياب قديد: المتنبي بين الاغتراب والثورة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011م، ص15.

إن الفكرة الأساسية لهيجل حول الاغتراب نفسية تجتاح الإنسان وسط مجتمع آلي يتمركز أساسا حول خوفه من فقدان دوره كمحرك أساس مهم في المجتمع الذي باتت تطغى على إنتاجه الآلة المجتهدة جهدا يعادل ما يبذله عشرة رجال في أداء وظيفة ما، بمعنى آخر أن الإنسان الذي كان مركزا في العمل استبعد منه ليصير هامشا، ونتيجة هذا التهميش تكونت حالة شعورية لديه تكرست في الإحساس بالغربة عن مجتمع كان سيدا فيه ثم صار عبدا للآلة في خضم تطور أنماط الحياة؛ ليغمره شعور القلق والرهبة والضياع بسبب تلك الظروف الحياتية التي لطالما قيدته وحطمت من عزيمته محدثة هوة بين عالم الوجود والذات وهذا نتيجة الاختراعات التي كان يطمح من خلالها أن يجد الراحة والسلامة ويحقق أهدافه من خلالها بكل أريحية وسهولة، ليصطدم بحقيقة أنه أصبح عبدا مستغلا من طرف إنتاجه، فيتحول إلى كيان فارغ لا فائدة ولا قيمة لوجوده أو عدمه.

هذا وقد اتبع عالم الاجتماع "كارل ماركس" ما ذهب إليه "هيجل" في أن صراع التطور وتغير نمط الحياة بسبب وجيه يدفع الإنسان إلى الشعور بالاغتراب وسط مجتمع لا يفكر إلا بزيادة وتيرة إنتاجه ودخول مجال المنافسة.ولو أنه طبق الفكرة من منظور إيديولوجي –نوعا ما–.

حيث أنه يجعل هذه الحالة الشعورية للإنسان مقتصرة على المجتمعات الرأسمالية التي قلبت كيان الفرد العامل وأفقدته جوهره الوجودي وتسلب منه نتاج عمله فأصبح «كائن عاجز وسلعة بعد أن اكتسبت منتجاته قوة مستقلة عنه، ومعادية له»[1] فالعامل وزيادة الإنتاج بالنسبة للمجتمع الرأسمالي أهم من العامل بذاته.

إذا فكل من "هيجل" و "ماركس"يتفقان في أن سيطرة الآلة على نمط حياة الإنسان من أجل مواكبة ركب التطور سببت للفرد غربة ذاتية واجتماعية جعلته يخلق مقارنة بينه وبين الآلة التي أصبحت منافسا له، غير أن ماركس يختلف عن هيجل في أنه خصص فكرته في الاغتراب عن المجتمع الرأسمالي الذي كانت قوانينه المستبدة سببا وجيها في اغتراب الفرد.

---

[1] حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص39.

-الاغتراب في الفكر العربي:

وإذا تتبعنا جذور الاغتراب عند العرب القدامى فإننا نجد الفيلسوف المتصوف "أبو حيان التوحيدي" مثالا حيا عن المثقف المغترب، حيث عانى الكثير من النكبات في حياته وذاق كل أنواع البؤس والشقاء والفقر والحرمان، ورغم أنه كان واسع المعرفة إلا أنه لم ينل مكانة مرموقة في مجتمعه، إذ تعرض للتهميش والإهمال ما جعله يحرق جميع مؤلفاته التي ضمت أفكاره وآراءه وإبداعاته الأدبية وهذا «يعكس اغترابه الفكري والروحي ويمثلا حالة قطيعة مع مجتمعه الذي لم يفهمه»[1]

لقد كان المجتمع الذي يقطن فيه أبو حيا التوحيدي عبارة عن سجن وضعت خلف قضبانه أحلامه وآماله التي سعى لأجل تحقيقها فأبدى تدمره وغضبه من الوضع المعاش الذي جعله غريبا في وطنه، فنجده يصف الإنسان الغريبة قائلا « هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسهن ولم يتزعزع عن ومهب أنفاسه، وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه»[2] يعدّ هذا الوصف تجسيدا بليغا لما آل إليه من غربة داخل وطنه وبين أقاربه، فأقسى ما يتعرض إليه الإنسان هو الإحساس بالنبوذ والتهميش في وطنه الذي أفنى حياته من أجل خدمته وتحسين مستواه في شتى المجالات.

فأبو حيان التوحيدي لم يجد أذانا صاغية تسمع أدبه، ولا عقولا حكيمة تحترم مبادئه فكان له أن أخفق في الظفر بما يتمنى ووصف حالته التي آل إليها في بضعة أسطر تترجم أحاسيسه قائلا «فقد أمسيت غريب الحال، غريب اللفظ، غريب النِّحلة، غريب الخلق، مستأنسا بالوحشة، قانعا بالوحدة معتادا للصمت، ملازما للحيرة، متحملا للأذى، يائسا من جميع ما أرى»[3]

---

[1] أحمد علي فلاحي: الاغتراب في الشعر العربي، ص19.

[2] أبو حيان التوحيدي: الإشارات الآلهية، تح: عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، مصر، ج1، ص81.

[3] الحبيب شيبل: المجتمع والرؤية-قراءة نصية في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص16.

لكن في مقابل هذا الانكسار والعجز وشظف المعيشة التي عاناها أبو حيان التوحيدي، استطاع خلق عالم جديد خاص به بعيدا ع العالم ومشاكله وذلك بفضل إيمانه القوي بالله عز وجل وحب التقرب إليه، فأصبح متصوفا زاهدا منعزلا عن كل ماهو خارجي، وهنا خف إحساسه بالاغتراب وأنست وحدته وازداد حبه للإنعزال عن المجتمع.

كما تطرق بعض من الأدباء المحدثين إلى مصطلح الاغتراب محاولين بذلك إرساء مفهوم محدد وشامل له منطلقين في ذلك مما قدمه غيرهم من الأدباء القدامى، من بين هؤلاء نذكر: الأديب زكي نجيب محمود الذي عرج إلى تعريف الاغتراب محاولا إعطاء مفهوم دقيق له فنجده يعبر عنه بقوله:

« شعور غريب هو ذلك الذي خاصر ويخاصر نفرا غير قليل من أفداء الرجال وأعني مايشعرون به من غربة أو عزلة برغم وجودهم في أوطانهم، بين أهلهم وذويهم»[1]

ويعني هذا القول أن الاغتراب عبارة عن أحاسيس تجتاح نفس الفرد فتشعره بعدم الانتماء إلى وطنه رغم انه وسط أهله وأقاربه، وبمعنى آخر فان البعد عن الوطن ليس شرطا للشعور بالغربة بل قد يكون الإنسان داخل وطنه وينتابه الشعور بالغربة.

ومن بين الأدباء أيضا الذين كانت لهم المساهمة الكبيرة في إعطاء مفهوم للإغتراب نجد محمود رجب الذي قال عنه هو «عبارة عن تخرج قوى الإنسان وأفعاله وعلوها عليه، بحيث تصبح وكأنها شيء آخر منفصل وغريب عنه هذه حقيقة عامة، تصدق على كل إنسان»[2]

فالاغتراب قوى وأفعال موجودة في الإنسان، اضطرت إلى الخروج فأصبحت بذلك شيئا غريبا عنه وليست حقيقته الأساسية كما أنه ينطبق على جميع الأفراد وليس مرتبطا بشخص واحد فقط.

---

[1] منى أبو القاسم جمعة عبد الرحمن: الاغتراب الفكري والاجتماعي في الشخصية القومية العربية، جامعة قاريوس، ليبيا، ط1، 2008م، ص28.

[2] المرجع نفسه،ص28.

ورغم التباين والاختلاف الحاصل في مفهوم الاغتراب إلى أن معظم هذه التعريفات انصبت في كونه الشعور بالعزلة والانفصال وعدم الانسجام مع المحيط الذي يعيش فيه.

2- الاغتراب الغربة(مفارقة اصطلاحية)

إن لفظة الغربة والاغتراب من بين الألفاظ التي يصعب التفريق بينهما، نظرا لتقاطعهما واشتراكهما في جذر لغوي واحد، واعتبارهما كلمتا مترادفتان، كما هو الحال في المعاجم اللغوية، نذكر على سبيل المثال قاموس المحيط الذي تطرقنا إليه سابقا، حيث وردت لفظة الاغتراب والغربة بمعنى واحد هو البعد والنزوح عن الوطن: كذلك المعاجم الأجنبية تعاملت معه اللفظتين على أساس كلمة واحدة وأكدت أن « المعاني الحرفية للفظEntfiendug الألماني الذي يعني الغربة ولفظ Alienation الإنجليزي الذي يعني الاغتراب والأفعال المشتقة منها متماثلة للغاية »[1] وهذا التماثل يكمن في كون كل منها يدل على تخطي الإنسان لذاته والانفصال عنها وع العالم الخارجي المتمثل في المجتمع والأهل.

ولم تكن المعاجم العربية والأجنبية وحدها من ساوت بين اللفظتين، بل هناك من الفلاسفة من تعامل مع الاغتراب على أساس الغربة وجعلهما في كفة واحدة مثل الفيلسوف "ابن عربي" الذي يعرف الغربة على أنها «مفارقة الوطن في طلب المقصود-ويطلقونها في اغتراب الحال، فيقولون في الغربة: الاغتراب عن الحال، من النفود فيه...»[2] فابن عربي في هذا التعريف يجعل المعنى الدلالي للغربة والاغتراب تدور في فلك واحد وهو مغادرة الوطن والانتقال من مكان إلى مكان آخر بغية إيجاد البديل، ومن هنا يتضح لنا أن اللفظتين عده لم تخرج عن الحيز المكاني والجغرافي في دلالتها.

هذا ما يمكن قوله حول نقاط التشابه بين لفظة غربة ولفظة اغتراب، أما عن أوجه الاختلاف بينهما فهي كالتالي:

---

[1] ذياب قديد: المتنبي بين الاغتراب والثورة، ص13.

[2] عبد الحق منصف: أبعاد التجربة الصوفية-الحب-الإنصات-الحكاية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2007م، ص48.

كلمة "غربة" مرتبطة بما هو خارجي، أي خارج ذات الإنسان، وذلك بانتقال الفرد من مكان إلى مكان آخر وهجرة وطنه، أما الاغتراب فمرتبط بداخل الإنسان، أي المشاعر والهواجس التي تتولد في نفسه بسبب عوامل خارجية وظروف قهرية بعيشها، فينتج عنها اغتراب نفسي يكون بمحض إرادة الفرد.

وهذا ما يجعل الاغتراب «طوعي يختاره الإنسان لأسباب منها عدم الانسجام مع المجتمع»[1]، فعدما يجد نفسه تحت وطأة الظلم والاستبداد، وأن حريته قد سلبت، ولا سبيل لإعادة الاعتبار لذاته المتصدعة يفضل الانسحاب والانسلاخ عن كل ما هو خارجي. في حين أن الغربة «قسرية بسبب ما يتعرض له الإنسان من ظلم وخوف»[2] تجعله ينبذ تلك المعيشة، ويتمرد على أوضاع المجتمع، فيلجأ إلى مفارقة وطنه وأهله كحل إجباري.

كذلك بين الفروقات الموجودة بين مصطلح الاغتراب والغربة، نجد أن هذه الأخيرة يصاحبها الشعور بالحنين والشوق إلى الديار والأهل والمكان الذي ترعرع فيه الإنسان وترك ذكرياته فيها، أما الاغتراب لا يصاحبه إلا النفور والابتعاد، بحيث يدرك الفرد أنه لا يمثل شيئا بالنسبة لوطنه وان وجوده كعدمه، فيرسم معالم وطن جديد داخل ذاته، يؤمن به، ويبسط نفوذه فيه عله يجد ما لم يجد في وطنه الأم.

3-مفهوم الاغتراب النفسي:

وردت تعريفات متعددة للاغتراب عند علماء النفس لكنها صبّت جميعها في معاني متقاربة كونه مرض عقلي وانفصال وعزلة يمارسها الفرد في مجتمعه وعن ذاته.

يربط "سيغموند فرويد" شعور الفرد بالاغتراب بإخفاق الأنا في إحداث توافق بين مطالب الهو والأنا الأعلى والعالم الخارجي «إذ يطلعنا علم الأمراض على عدد وفيري من الحالات التي يصبح فيها الخط الفاصل بين الأنا

[1] يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، جامعة إربد الأهلية، الأردن، ط1، 2008م، ص17.
[2] المرجع نفسه: ص17.

والعالم الخارجي غير واضح وغير دقيق فعلاً: ففي بعض الأحوال لا تبدو أجزاء من بدننا، بل عناصر من حياتنا النفسية، من إدراكات وأفكار ومشاعر، وكأنها غريبة وأجنبية ولا تؤلّف جزءا من الأنا».[1]

إذ أن الأنا بممارسته لكبت الغرائز يدفعه الهو إلى إشباعها والتي لا تتوافق مع قيم المجتمع، ينتج عنه انفصال وانقطاع عن العالم الخارجي لخضوع الأنا لسيطرة الهو المتحكم فيه، لتصبح المشاعر والأفكار غير منتمية وغير متطابقة مع الأنا ليحيا الإنسان في حالة صراع بين ما يمليه عليه الهو وما يجب أن يتوافق مع العالم الخارجي وكأن كل جزء من النفس يصبح عدو لها.

كما يشير الاغتراب النفسي إلى «الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشخصية للانشطار أو للضعف والإنهيار بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم في داخل المجتمع»[2]، بمعنى أن الاغتراب النفسي ينجم عن إحساس الفرد بالضعف والانهيار وفقدان الثقة في نفسه وفي من حوله لتتشكل شخصيته المغتربة عن نفسه وعن مجتمعه.

كما يعتبر الاغتراب النفسي «ظاهرة اجتماعية نفسية ومشكلة إنسانية عامة سوية مقبولة حينا ومرضية معوقة حينا آخر شائعا في كثير من المجتمعات بغض النظر عن النظم والإيديولوجيات والمستوى الاقتصادي والتقدم المادي والتكنولوجي كما أنها تعد أزمة معاناة للإنسان المعاصر وإن تعددت الأسباب ومصادرها»[3]، إذ أن الاغتراب النفسي يعدّ من الظواهر المنتشرة في عصرنا الحالي بالأوساط الاجتماعية ولها جانبان جانب مقبول وآخر مرفوض، أما الجانب المقبول فيتمثل في كونه مشكلة اجتماعية ونفسية تواجه الفرد، لكنه يحافظ على اِتزانه وثباته عكس كونه حالة مرضية –وهو الجانب المرفوض– لأنه يحدث اِختلالا واضطراب عقلي للفرد مما يجعله شبيه

---

[1] سيغموند فرويد: قلق في الحضارة، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1977م، ص 8.

[2] عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2003،ص 81.

[3] نسيمة عباس صالح: الاغتراب النفسي وعلاقته بتعلم مهارة الوقوف على اليدين في الجمناستك لدى طالبات المرحلة الثانية، مجلة علوم التربية الرياضية، ع3، د ب، 2011م، ص 244.

بالمجنون الفاقد لعقله، حيث أنه «يؤدي إلى فقدان الذات، وانفصاله عنها، وتحول إلى آخر باعتقاده أنه هو ذاته»[1]، فالفرد يتخلى عن نفسه ويحدث قطيعة معها بل ويندمج مع الآخر على حساب ذاته.

ويعرف "علي فلاحي"الاغتراب النفسي بأنه«الانفراد والعزلة، أو العجز عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع وحتى انعدام الشعور بالمغزى الحقيقي للحياة»[2]، من خلال هذا القول نجد أن الاغتراب النفسي شائع في المجتمعات على اختلاف أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، من هم من عده نفورا وانفصالا عن الذات والمجتمع من خلاله يفقد الفرد الرغبة في الحياة، وفي السعي لتحقيق أهدافه وآماله ليعيش بعبثية ولامبالاة في هذا العالم.

4- مفهوم الشخصية :

تعتبر الشخصية من أهم العناصر التي ترتكز عليها العملية السردية، والقطب الأساسي في بناء العمل الروائي، ولا وجد لنص روائي خال من شخصيات تحرك أحداثه وتضمن استمرار الحركة داخل متنه.

وقد نال مصطلح "الشخصية" اهتمام الدارسين والباحثين، فعمدوا على دراستها من عدة نواحي سواء من الناحية الأدبية أو الاجتماعية أو النفسية، وبما أن موضوع بحثنا يتعلق بالشخصية الروائية من منظور نفسي فإننا سنركز على إعطاء مفهوم شامل للشخصية عند الأدباء وعند علماء النفس على حد السواء.

4-1 الشخصية في المعجم:

وردت كلمة الشخصية في"اللسان" «الشَّخْصُ: جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر. والجمع أشخاص وشُخوصٌ وشِخاص، والشّخص: سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد، تقول ثلاثة أَشْخُصٍ. وكل شيء رأيت جسمانه، فقد رأيت شخصه.».[3]

---

[1] منى أبو القاسم: الاغتراب الفكري والاجتماعي في الشخصية القومية العربية، ص 39.

[2] علي فلاحي: الاغتراب في الشعر العربي، ص 122.

[3] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ش خ ص)، ص 493.

فالشخص هنا مرتبط بالذات سواء كانت ذات إنسانية أو أي شيء آخر يمكن رؤيته وتحديد ملامح جسمه وارتفاعه.

وفي معجم "الوسيط" وردت لفظة "الشخصية" على أنها «صفات تميّز الشخص من غيره، ويقال فلان ذو شخصية قوية: ذو صفات متميزة وإرادة و كيان مستقل».[1]

يتضح من خلال ما سبق أن لفظة "الشخصية" هي لفظة حديثة إذ أنها لم تذكر بصريح العبارة في المعاجم القديمة بل ذكرت كلمة "شخص" والتي دلت على شئ حسي له جسم يمكن رؤيته،في حين نجد المعاجم العربية الحديثة قد اعطتها مدلولا معنويا تمثل في الصفات الداخلية لكل إنسان .

أما مدلول لفظة "الشخصية" في اللغة اللاتينية قد اشتقت من الكلمة «personna وتعني أصلا "القناع المسرحي" وهو السبب الذي دفع باشتقاق مصطلح personna من اليونانية prosôpon الذي يعني هو أيضا "القناع المسرحي"، ومن اللاتينية perisonna (sonner à travers) أو أيضا من اليونانية perisonna (autour du corps)»[2]، أما مقابل "شخصية" في اللغة الفرنسية هو المصطلح "parsonnageg" الذي أشار إليه عبد المالك مرتاض في كتابه "نظرية الرواية" بأنه تمثيل وإبراز وعكس لطبيعة القيمة الحية العاقلة الماثلة في قولهم الآخر personne»[3]

وخلاصة ما سبق ذكره حول مفهوم الشخصية في المعاجم العربية والحديثة يمكن القول أن الشخصية ذات بعدين، بعد إنساني ذاتي متعلق بالشخص وسماته الجسمية وقدراته العقلية وصفاته الباطنية، وبعد أدبي فنّي متمثل في الدور الذي يؤديه الشخص على خشبة المسرح وهو يرتدي قناع.

---

[1] إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، ص 475.

[2] وينفريد هوبر: مدخل إلى سيكولوجية الشخصية، تر: مصطفى عشوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1995م، ص 12.

[3] عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1998م، ص 75.

4-2 الشخصية في الاصطلاح:

جاء في تعريف الشخصية من الناحية الاصطلاحية أنها «كل مشارك في أحداث الحكاية سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات بل يكون جزءا من الوصف»[1]، فالشخصية مرتبطة بالحدث، ولا يقوم هذا الأخير إلا بوجودها، فإذا كانت هناك شخصية داخل المتن الحكائي فتلقائيا هناك حدث سينجز من طرفها.

ويعرفها "عبد المالك مرتاض" بأنها«كائن حركي حيّ ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخص دون أن يكوّنه»[2]، فهو هنا نفى صفة الورقية للشخصيات مثلما ذهب إليه بعض النقاد، وأكّد أنها كائن حي «يخضع في ذلك لصرامة الكاتب وتقنيات إجراءاته، وتصوراته وإيديولوجيته».[3]

حيث أن الكاتب هو المصمم والمسير لهيكل الشخصيات، فتكون تحت سيطرة أفكاره وتصوراته التي تنصف دور كل شخصية، وكيف يجب أن تكون وما هي الوظيفة التي تساهم بها في العمل الحكائي، ولا تخرج عن الحيز الذي رسمه لها .

أيضا يعرفها "فليب هامون" يعرّفها بأنها «علامات لغوية تحمل في طياتها بعض ملامح الشخص المبدع، أو غيره فكريا وليست الشخص ذاته».[4]

والمعنى من قوله أن الشخصية مستوحاة من اللسانيات، فهي علامة لسانية لها وظيفة لغوية تؤديها داخل النص، فاهتم بالمدلول اللغوي الذي تنطق به، وتعبّر به عن أفكارها.

---

[1] لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص ص 113-114.

[2] عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية «زقاق المدق»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1995م، ص 126.

[3] عبد المالك مرتاض: نظرية الرواية، ص 76.

[4] أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية،بيروت،لبنان، 2005م،ص 35.

فالكاتب عند تأليف عمله الحكائي يستسقي شخصياته من الواقع، ويلبسها لغة إيحائية تحمل في كنفها دلالاتها معينة تشير إلى ما عاشته وما يجول في خاطرها.

أما مفهوم الشخصية عند علماء النفس فقدتعددت واختلفت عندهم ففي «النظريات السيكولوجية تتخذ الشخصية جوهرا سيكولوجيا وتصير فردا، شخصا، أي ببساطة كائنا إنسانيا»[1]، بمعنى أن الشخصية حسب النظريات السيكولوجية هي فرد أو مجموعة من الأفراد الإنسانيين الذين يحملون صفات مميزة لهم عن باقي الموجودات في هذا العالم لتجعل منه كائنا إنسانيا له جوهره الداخلي الذي يجعله يختلف عن باقي الكائنات الأخرى.

ويعرفها "فرج عبد القادر طه" بكونها «التنظيم الدينامي لسمات وخصائص ودوافع الفرد النفسية والفيسيولوجية والجسمية، وذلك التنظيم الذي يكفل للفرد توافقه وحياته في المجتمع ولكل شخص تنظيمه هذا الذي يميزه عن غيره وبمعنى آخر فإن لكل فرد في المجتمع شخصيته الفريدة»[2]، فشخصية الفرد لها طابعها الخاص الذي يجعل منها شخصية مميزة في محيطها بصفاتها الجسمية والنفسية.

أما "مورتن برنس" يعرفها بأنها «مجموع ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية، كذلك ما لديه من نزعات واستعدادات مكتسبة»[3]، فكل ما يحمله الشخص بداخله من غرائز ودوافع واستعدادات تعتبر أجزاء مكونة لشخصية الإنسان سواء كانت فطرية كامنة في نفسه أو مكتسبة من غيره.

فحسب علماء النفس شخصية الفرد تنتج عن عمليات تنظيمية للمواصفات والوظائف الداخلية والخارجية لدى كل شخص وهي التي تحدد مدى تفاعله وتأقلمه مع الجماعة والمحيط الذي يعيش فيه.

---

[1] أسعد شريف الأمارة: سيكولوجية الشخصية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014م، ص 39.

[2] المرجع السابق، ص 17.

[3] سيد محمد غنيم: سيكولوجية الشخصية محدداتها، قياسها، نظرياتها، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، د ط، 1972م، ص 47.

5- المقصود بالاغتراب النفسي للشخصية:

الاغتراب النفسي للشخصية هو حالة نفسية تعتري شخصية الفرد بسبب «تهدم مجموعة معقدة من العناصر التي تكون عالم الشخصية الفردية الروحي،فالعقل يعتبر بمثابة القابلية الوحيدة اللائقة بالإنسان، أما مشاعر الحب والكراهية فتغدوا إضافة ورثها الإنسان من الماضي تعيقهمن بلوغ ما رسمه من أهداف »[1]من هذا القول أن الاغتراب النفسي للشخصية مرتبط بمقومات الإحساس التي تكون شخصية الفرد.

إن الشخصية عبارة عن مجموعة معقدة من الأحاسيس و المشاعر و الأهواء والرغبات والسلوكات و العلاقات الاجتماعية، وبحرمانه من هذه الأشياء تهدم شخصية الفرد ويحدث انشطار في مكوناتها (الأنا، الهو، الأنا الأعلى)،هذه الأخيرة تمثل الركيزة الأساسية لبناء شخصية سليمة خالية من الإضطربات النفسية، لكن حين تختلف وتتصارع فيما بينها يحدث اختلال في البنية النفسية وبهذا تقع الشخصية فريسة للاغتراب النفسي، يظهر من خلال بعض السلوكات الغير طبيعية تتمثل في«الألم والحزن اليأس،والعجز والعزلة الاجتماعية، إذ يتصف المغترب بالقلق و الإكتئاب،و غالبا مايكون عدوانيا في سلوكه مع الآخرين»[2]

تبدأ عملية حدوث الإغتراب النفسي للشخصية من خلال عدم توافق شخصية الفرد مع العالم الخارجي لأن هذا الأخير بمختلف عاداته وتقاليده ومبادئه وظروفه السياسية والاجتماعية والثقافية،ساهم في وئد أحلام الفرد و أسره في عقد الماضي، التي أثقلت كاهله.وأدت إلى اغترابه و انفصاله عن الواقع، وإعاقة تطوير شخصيته.

واغتراب الشخصية لاتعني فقط عدم السماح للفرد بتطويرها بل تتخطى ذلك إلى جعل الفرد يدرك و يؤمن باستحالة تحقيق رغباته النفسية لكنه يحاول إيجاد مخرج لها، وفي كل مرة يحدث اصطدام داخله بالواقع ليضحى هائما في دوامة من الهواجس و المشاعر السلبية التي تمزق ذاته وتهدم بنيته النفسية المكونة للشخصيةة.

---

[1] فيصل عباس: الإنسان المعاصر في التحليل النفسي الفرودي،دار المنهل اللبناني بيروت، لبنان،ط،2004،ص551

[2] أحمد علي فلاحي: الاغتراب في الشعر العربي،ص122

الفصل الأول

ماهية الاغتراب النفسي

تمهيد:

احتل الاغتراب النفسي مكانة هامة لدى الأدباء والعلماء، واعتبروه واحد من أضخم المشاكل التي يعاني منها الإنسان في العصر الحديث.

فالاغتراب النفسي كان وليدًا للتغيّرات والتناقضات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي طغت على المجتمعات، فأصبح الإنسان غير قادر على مجاراة هذه التغيّرات ما أدى إلى بروز اضطرابات وأزمات نفسية مزّقت شخصيته جعلته كائنًا عاجزًا بلا هدَف.

1- النظريات المفسرة للاغتراب النفسي:

1-1 نظرية سيغموند فرويد:

إنّ أول ما يتبادر إلى أذهاننا عند ذكر عالم النفسي سيغموند فرويد هو مصطلحاته النفسية في التحليل النفسي وهي: الأنا، الهو، والأنا الأعلى، هذه المصطلحات الثلاث التي تقوم عليها نظريته في تحليله وتشخصيه لشخصية الإنسان، ومعرفة اضطراباته النفسية وسببها.

وقبل الشروع في شرح نظريته حول الاغتراب النفسي للشخصية يجب علينا إعطاء مفاهيم عامة لهذه المصطلحات، كونها مرتبطة أشدّ الارتباط بالاغتراب النفسي عنده.

- **الأنا le Moi**: إنّ الأنا هو الركن الأول من أركان الجهاز النفسي عند فرويد «والجزء الحقيقي المكرّس لتأمين السيطرة التدريجية على الثروات، باعتباره ممثل الواقع، فهو يحاول توطيد نفوذ العالم الخارجي على الهو ونزعاته، ويسعى إلى إحلال مبدأ الواقع محلّ مبدأ اللّذة».[1] فهو القطب الدّفاعي لشخصية الفرد عند اشتداد طلبات الهو وميولاته، والجزء الواعي منهيا، كما يعتبر الوسيط بين الأنا الأعلى والهو، فيقف أمام نزوات الهو وفي الوقت نفسه يخضع لأوامر الأنا الأعلى.

[1] فيصل عباس: الإنسان المعاصر في التحليل النفسي الفرويدي، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 361.

- **الأنا الأعلى le sur–Moi**: يعرّف الأنا الأعلى بأنه «تكوين في العقل الباطن، يقوم بوظيفة الضمير بالنسبة لكل من الأنا (Ego) الواعية ومخزون الدفاع والبواعث اللاّداعية (id)».[1] ويمكن تسميته بالقطب الأخلاقي الذي يخضع له الأنا ويكون تحت سيطرته، يراقب أفعاله، وينبهه إذا أخطأ، فالأنا الأعلى يمثل دور الرئيس في إلقاء الأوامر على "الأنا".
- **الهو id, le ça**: وهو «قطب الشخصية النزوية وتكون محتوياته التي تشكل التعبير النفسي للنزوات لاواعية وهي وراثية فطرية في جزء منها، ومكبوتة مكتسبة في الجزء الآخر»[2]، إذا فهو القطب النزوي للشخصية، إذ يمثل مجموع الغرائر والرغبات والميولات اللاّواعية للإنسان، وهذه الغرائز موجودة لديه منذ ولادته، أي فطرية لا تخضع لقوانين المجتمع ولا لعاداته لأن الهو مبدأه الذي يسير عليه هو مبدأ اللذة.

ومن هذه الأركان أو الأقطاب الثلاثة ينطلق "سيغموند فرويد" في تفسيره للاغتراب النفسي، وكيف يحدث؟ وما هي العوامل المسببة لاغتراب الفرد؟، فيرى أن الاغتراب النفسي ناتج عن تقييد حرية الإنسان وعدم السماح له بإشباع غرائزه الفطرية النزوية وميولاته النفسية على أرض الواقع، وهذا ما يجعله محاصرا بين ما هو محظور في العالم الخارجي وبين لذّته المسيطرة عليه، فيلجأ إلى الكبت والهروب من الواقع.

إنّ هروب الإنسان من الواقع وإحساسه بالاغتراب النفسي حسب "فرويد" سببه الصّراع القائم بين الأنا والأنا الأعلى والهو، فألحق بكل قطب سمة الاغتراب، ورأى أن "اغتراب الهو" سببه «سلب حريته، وذلك أن حرية الهو تعني وقوع الأنا تحت ضغط الأنا الأعلى والواقع الاجتماعي»[3]، فعندما يتلقى "الهو" من "الأنا" النزوات والميولات الموجودة في العالم الخارجي (الواقع) تجتاحه الرغبة في إشباع تلك النزوات، ويسيطر عليه مبدأ اللذة فيرسل إشارة إلى "الأنا" بما يريد فعله، لكن "الأنا" ولأنه الجزء الواعي والعاقل من الشخصية ينظر إن كانت طلباته

---

[1] أسعد رزوق: موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، طي3، 1987م، ص 46.

[2] جان لابلانش: معجم مصطلحات التحليل النفسي، تر: مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1997م، ص 570.

[3] عبد اللطيف محمد خليفة: سيكولوجية الاغتراب، ص 84.

تتوافق ومبادئ الواقع، فإذا كانت معارضة له رفضها، وفي الوقت نفسه يكون "الأنا الأعلى" قد أدرك طبيعة تلك الرغبات فيتدخل فورا لرفضها ويجبر "الهو" على كبتها.

أما "اغتراب الأنا" فيرى "فرويد" أن سببه هو تدخل "الأنا الأعلى" بينه وبين الهو، وسلب حريته ومهمته في إلقاء أوامره على "الهو"، ف "الأنا الأعلى" بتدخله هذا أنكر معرفة "الأنا" بما هو مسموح في العالم الخارجي. إلى جانب وقوفه بين "الأنا الأعلى" و"الهو" و"الواقع" ومحاولة إرضاءهم بما يتناسب ومطالبهم.

بينما يغترب "الأنا الأعلى" عندما تسقط سلطته على "الأنا" «وهي الحالة التي تأتي بدورها نتيجة لسلب معرفة الأنا بسلطة الماضي أو زيادة الهو على الأنا»[1]، فعندما يزداد ضغط "الهو" على "الأنا" يضعف هذا الأخير ويستسلم لنزواته ضاربا عرض الحائط حكم الأنا الأعلى، وبالتالي خضوع القطب الدفاعي (الأنا) للقطب النزوي (الهو)، ومنه فإن ما يمكننا استخلاصه حول هذا التحليل النفسي للشخصية المغتربة أن" الأنا" هو الركن الأساسي الذي يضمن توازن الشخصية، فإذا أنجز مهمته الموكلة إليه أحسن إنجاز أنتج شخصية سوية خالية من الإضطرابات النفسية.

أما إذا تهاون في مهمته وأخفق في التوفيق بين "الأنا الأعلى" و"الهو"، حدث اختلاف في شخصية الإنسان وتعرض للأمراض النفسية ومنها الاغتراب.

إن تفسير حالة الانفصال والاغتراب النفسي التي تنتاب الإنسان مصدرها رفض "الأنا" لمطلب "الهو" ومنعه من الوصول إليها، لأنها نظرة معادية للعالم الخارجي، وبالتالي ينتج الشعور بالألم لدى الفرد وتتبدل نظرته الإيجابية للمجتمع (الواقع) إلى نظرة سلبية ملئها الكره والنفور والنبوذ، فيصبح العالم الواقعي العدو اللّذوذ "للهو"، ولهذا ينفصل عنه الإنسان، هاربا من ظلمه وقوانينه القهرية التي لا نتيجة ولا فائدة منه إلا الحصول على الألم، وفي الوقت نفسه يبحث عن ملجأ آخر لتفريغ مكبوتاته وإشباع غرائزه، وهنا تنتقل هذه المكبوتات إلى الجزء

[1] عبد اللطيف محمد خليفة: سيكولوجية الاغتراب، ص 84.

اللاشعوري للفرد بعدما كانت متواجدة في جزئه الشعوري، يقول فرويد «إن الرغبة المكبوتة تبدأ حياة جديدة شاذة في اللاشعور، وتبقى هنا محتفظة بطاقتها، وتظلّ تبحث عن مخرج لانطلاق طاقتها المحبوسة، وطالما أن عوامل القمع والكبت مازالت قائمة، فإنّ اللاشعور يظلّ مغتربا عن الشعور».[1]

وفي هذا الصدد رأى "فرويد" أن الحلّ الوحيد والأنسب للتخفيف من الاغتراب النفسي للفرد هو فتح المجال لـ"الهو" بإشباع دوافعه النفسية وغرائزه الفطرية على أرض الواقع، وإخراج مكبوتاته القابعة في اللاشعور وردها إلى مكانها الأصلي (الشعور).

هذا هو التفسير الفرويدي لعملية حدوث الاغتراب النفسي لدى الفرد، وما يحدث في عالمه الداخلي عندما يتعرض للقمع من العالم الخارجي.

أما عن العوامل التي تدفع بالإنسان إلى الهروب من الواقع فقد ربطها "فرويد" بعامل واحد يراه هو أصل اغترابه وذوبان شخصيه السوية وهو "الحضارة" «فالتناقض التاريخي الذي يعانيه بين الواجب المفروض عليه من الحضارة التي تحميه، والرغبة في التمرد عليها، لإشباع دوافعه الأصلية المقموعة، ذلك أن التباهي بالحضارة يضاده كره ونفور لاشعوري منها، لما تمثله من قوة ضغط وإجبار قسري مهولة».[2]

فالحضارة التي صنعها الإنسان من أجل إرضاء ذاته بما يتناسب وأهواءه ودوافعه النفسية وقفت على نحو يتعارض معها، بسبب المحظورات التي وضعتها، وحريته التي قيدتها بركائزها الأخلاقية، ويعتبرها "فرويد" أكبر عدوّ للإنسان ومصدر الأمراض النفسية ومنها الاغتراب النفسي.

إن الممنوعات والمحظورات التي سنّتها الحضارة –على حدّ تعبير فرويد– وترأسها "الأنا الأعلى" حرمت الفرد من حقوقه في إشباع غرائزه على أرض الواقع، ولم يعد له حيلة لمجاراتها إلا الهروب منها والاحتماء منها في عالمه

---

[1] عبد اللطيف محمد خليفة: سيكولوجية الاغتراب، ص 83

[2] معاذ قنبر: الاغتراب في التحليل النفسي (نموذج فرويدي، يونغ، فروم)، 18:18، 04/05/2021 https://www.alaw.an.org

الداخلي، الذي رسمه على نحو ما يتمنى، وإثر هروبه من الواقع تفاقم شعوره بالاغتراب وأصيب باضطرابات نفسية جعلت شخصيته غير سوية «فالإبتعاد عن الواقع، هو النزوع الرئيسي للمرض ومخاطرته الكبرى في آن واحد، قد يصدر العنف والغضب من الجرح الذي سببه العجز عن بلوغ المثل (كلية القدرة)»[1]، إذا فالاغتراب النفسي هو صراع بين الذات الإنسانية التي تتمثل في "الأنا"، "الأنا الأعلى"، "الهو" والواقع الذي يمثل الحضارة، فأنتج هذا الصراع شعور الفرد بعدم القدرة على تحقيق الإكتفاء الذاتي في العالم الخارجي، وأنه لا ينتمي إليه، يقول "فرويد" «إن المعايير الأخلاقية على وجه الخصوص هي التي تؤدي إلى نشأة الأمراض العقلية والنفسية الخاصة بالأزمنة الحديثة، فيؤكد أن حضارتنا بصورة عامة مبنية على قمع النزوات».[2]

وخلاصة القول لما جاء حول نظرية الاغتراب النفسي عند "سيغموند فرويد" يمكن القول أن الإنسان بطبيعته التي فطر عليها، يحمل في داخله طاقة كبيرة من الغرائز والثروات والدوافع والميولات النفسية يسعى إلى تحقيقها على أرض الواقع، وهذه الطاقة بنيت على مبدأ اللذة الذي لا يعترف بالأخلاق ولا بالمنطق ولا بالمعقول بل كل ما يهمه هو الوصول إلى السعادة والراحة النفسية من خلال إشباع شهواته تلك، لكن هذه الرغبات يحكمها نظام يسيّر "الأنا" الذي يمثل القطب الدفاعي للشخصية الإنسانية، و"الأنا الأعلى" الذي يلعب دور المراقب والضمير الأخلاقي للنفس.

وبما أن الإنسان لم يستطع بلوغ لذته وإشباع شهواته في العالم الخارجي نتج لديه شعور بالاغتراب والانفصال في ذاته، ففارق العالم الخارجي، لأن مبدأ اللذة الذي يسير عليه "الهو" يستحيل توافقه مع مبدأ الواقع الذي يسير عليه "الأنا"، كما يستحيل تخطّي قوانين "الأنا الأعلى" الذي يقف بالمرصاد لطلباته ونزواته اللامعقولة واللاواعية، وهنا اعترف "فرويد" بأن الاغتراب النفسي «سمة متأصلة في وجود الذات في حياة الإنسان، إذ لا سبيل مطلقا

[1] فيصل عباس: الاغتراب وشقاء الوعي، ص 302.
[2] المرجع نفسه،ص 299.

لتجاوز الاغتراب (...) لأنه لا مجال لإشباع كل الدوافع الغريزية كما أنه من الصعب التوفيق بين الأهداف والمطالب، وبين الغرائز وبعضها البعض»[1]، لأن سلطة الأنا الأعلى باسطة نفوذها على "الأنا" و"الهو".

1-2 نظرية إريك فروم:

تقوم نظرية فروم المتمحورة حول الاغتراب على فقدان الشخص لذاته، إذ أن الفرد الذي تضيع منه ذاته يصبح إنسانا مغتربا ضائعا لا يجد نفسه ولا يعرفها يشعر بالتيه والوحدة، مما يجعله شخصا منطويا على ذاته يهرب من محيطه وحتى من نفسه.

ولقد وصف لنا "فروم" الإنسان المغترب عن ذاته في كونه «يفقد معظم شعوره بالنفس، وبنفسه كذات متفردة لا يمكن تكرارها، إن الشعور بالنفس ينبع من ممارستي لنفسي كموضوع لتجاربي أنا، وتفكيري أنا، وشعوري أنا، وحكمي أنا، وفعلي أنا، إن هذا الشعور يفترض أن تجربتي هي خاصة وليست تجربة مغتربة»[2]، فالإنسان عندما يفقد الحرية والتفكير والحكم يفقد إحساسه بذاته وتميّزه يفقد إيمانه بأنه إنسان له قدراته وتفكيره وسماته التي تمكنه من الخوض في الأمور ومعرفة منافعها وأضرارها وإصدار أحكام عليها ليبقى في عزلة عن نفسه وعن الآخرين.

والاغتراب عن الذات حسب "فروم" «نوعية من التجارب أو الخبرات يعايش فيها المرء ذاته باعتبارها غريبة عنه»[3]، إذ أن الفرد الذي يخوض التجارب في هذه الحياة يكتسب الخبرة في معايشة الواقع الذي لا يتوائم مع معتقداته ومبادئه بل يصير شخصا غريبا حتى عن نفسه.

والاغتراب عن الذات هو إحدى أهم الصور التي يتجلى فيها اغتراب الفرد وانفصاله عن نفسه، فإذا كان الاغتراب النفسي يقوم على فكرة تخلي الفرد عن جوهره الإنساني فإننا لا نعقل ارتباطه بفكرة خضوع الإنسان

---

[1] عبد اللطيف محمد خليفة: سيكولوجية الاغتراب، ص 84.

[2] اريك فوم: الإنسان المغترب، تر: حسن حماد، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، د ط، 2005م، ص 120.

[3] عباس يوسف: الاغتراب والإبداع الفني،، دار غريب،القاهرة، دط،2003م، ص 60.

للأشياء، أو كما هو معروف عند "فروم" بفكرة الصنمية والتي تعد الفكرة الأساسية وجوهر الاغتراب عنده، ويقدم شرحا لها في قوله: «الصنمية idolatrice لا تعني أن الإنسان يعبد عدة آلهة، إنما تعني أن الإنسان في عبادة الصنم إنما يعبد ذلك الذي خلقه بنفسه».[1] خضوع الإنسان لما صنعه بيده وما يسمى بإبداعه الشخصي، كأنه يحاول صناعة شكل أراد أن يكون هو عليه ليضع كل تلك الصفات التي كان يحملها في ذلك الوثن ليقدسه ويخضع له خضوعا أعمى «فالإنسان بدل طاقته، وقدراته الفنية في بناء وثن، ثم يعبد هذا الوثن، الذي هو ليس إلا نتيجة جهده البشري، إن قواه الحياتية قد تحولت إلى شيء وهذا الشيء، إذا صار وثنا، فإنه يخبر على أنه نتيجة جهده الإنتاجي، بل على أنه شيء منفصل عنه، فوقه أو ضده، يعبده ويرضخ له»[2]، فالصنم هو الشكل المغترب للفرد وضع فيه جهده وأفكاره وميزاته التي كان يسعى جاهدا لتحقيقها في ذاته لكن عجزه عن إدراك هذه المواصفات في نفسه جعله يبحث عن شيء يصبّ كل تلك السمات عليه سواء كان وثنًا أو آلة أو شيئا آخر، ليصير هذا الفعل عبارة عن إسقاط لشخصية الفرد على الشيء الذي يخضع له ويتماشى وفق سلطته وحكمه حتى أن هذا الشيء يصبح غريبا عنه ومضادا له يقيده ويستغله، ليطمس ذاته الأصلية، وهي تلك «الذات الفريدة غير القابلة للتكرار والتي يتسم صاحبها بأنه شخص مفكر قادر على الحب والإحساس، ومبدع لما يقوم به من أفعال»[3]، حسب "فروم" الذات الأصيلة هي الذات التي تحمل سمات التفرّد والتفكير والحب والإحساس والإبداع وليست تلك المقيّدة والمهمشة والمحرومة من أبسط الحقوق بعد التهميش والحرمان الذي تلقاه الذات الأصيلة تحل محلها الذات الزائفة وهي «الذات التي اغتربت عن نفسها وانفصلت عن وجودها الإنساني الأصيل»[4]، فا لذات التي تفتقر إلى الصفات الأصيلة من تميز وأمل وحب وحرية وإحساس وإبداع هي زائفة وطغيان الزيف على الأصل يخلق ويغدي روح الاغتراب داخل الفرد وممارسة الإنسان لعبادته الوثنية لا تفيده

[1] فيصل عباس: الاغتراب وشقاء الوعي، ص 361.
[2] اريك فروم: المجتمع السوي، تر: علي مولا، د د، د ب، ط1، 2009م، ص 233.
[3] اريك فروم: الإنسان المغترب، ص 116.
[4] المرجع نفسه، ص 121.

ولا تسمو به بل تحطّ من قيمته وتفرغ روحه من السمات المميزة له، والمراد بالوثنية «ذاك الشكل من بحث الإنسان التوحد مع العالم بحيث يرجع إلى الطبيعة، إلى حيوانيته الخاصة ليستسلم لها، يستسلم للطبيعة، لما صنعته يداه (في شكل أقانيم من الذهب أو الفضة أو الخشب) أو يستسلم لأناس آخرين»[1]، فمن خلال هذا القول نجد "فروم" يقدم مفهوما للوثنية على أنها توحد وانصهار لكيان الإنسان بالطبيعة، بحيث أنه يعود لأصله في أنه حيوان ناطق رجوعه إلى الطبيعة واستسلامه لها وتقيده بقواعدها يمكنه من ممارسة عبوديته والامتثال والخضوع لما صنعته يداه أو لمن هم أعلى منه سلطة وأكثر قوة، لتتحول نشاطات الإنسان وصفاته وقدراته إلى شيء مستقل عنه ومضاد ومسيطر عليه.

وفكرة الصنمية عند "فروم" لا تقتصر على عبادة الإنسان للوثن في العصور السابقة فقط. فنحن ورغم ابتعادنا عن العصور الأولى إلا أن الإنسان بقي محشورا في شرنقة العبودية الوثنية فلم يعد قادرا على الفرار منها والتخلّص من خيوطها التي كبّلتها فبقي عبدا مملوكا خاضعا ذليلا لتلك الأصنام وعلى حسب قوله «إننا لازلنا نخضع لأصنام متعددة في المجالات المختلفة للحياة المعاصرة، ففي المجال الاقتصادي نجد عبادة الإنتاج، والاستهلاك والمال، وفي المجال الاجتماعي نجد عبادة الشهرة والأصل، والعائلة، والعادات والتقاليد، وفي المجال السياسي نجد عبادة المذاهب السياسية وعبادة الدولة والزعماء»[2]، فالأصنام التي يخضع لها الإنسان لم تنحصر في أوثان الجاهلية التي كان يصنعها بنفسه ويسجد لها ويقدّسها، فرغم مرور الزمن تغيّرت أشكال هذه الأصنام لتغدو في صور مختلفة مثل: الشهرة، المال، السلطة، الدولة وحتى العادات والتقاليد ليظلّ الفرد مكبلا بقيود العبودية لهذه الأشياء التي صارت عبارة عن أصنام قيدته وأخضعته لسلطتها وقوتها وأثرت ع ليه وسلبت منه جوهره.

---

[1] اريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، تر: حميد لشهب، شركة نداكوم للطباعة والنشر، الرباط، د ط، 2003م، ص 41.

[2] اريك فروم: الإنسان المغترب، ص 128.

كما يعتبر "فروم" الاغتراب عن الذات نقطة انطلاق الاغترابات الأخرى منها الاغتراب عن الآخرين الذي بسببه تنقطع الروابط بين الأفراد وتطغى عليها المصلحة والاستغلال، يقول "فروم": «أن الشخص المغترب عن الآخرين هو أساس مغترب عن ذاته، إذ أن الإنسان الممتثل والأناني هو إنسان فقد ذاته الأصلية، وبالتالي فهو مغترب عن ذاته»[1]، لأن فقدان الذات الحقيقية والتي هي مركز ذواتنا يجعل الشخص يهرب من الآخرين ويبتعد عنهم، يعيش في حالة عزلة وانغلاق على نفسه «لتتعمق الهوة بين الإنسان وذاته وبين الإنسان ومجتمعه وأصبحت المخاطر تهدّد حياته وتخلخل وجوده الإنساني»[2]، بمعنى أن اغتراب النفس إحدى الأسباب التي تساهم في إحداث فجوة بين ذات الفرد ومحيطه وجماعته لتنمو شخصيته نمو مشوها تفقد من خلاله مقوماتها وإحساسها ويصبح الإنسان عبارة عن شيء بلا قيمة في مجتمعه لا هدف له سوى الإنتاج المادي ليصير شبيه بالآلة، وذلك نظرا «لإحلال العلاقات المادية بين الناس وسيطرتها وكذا طغيان الدوافع المصلحية، تفقد معاني الصداقة والوفاء والمحبة، ويصبح الأساس في التعامل بين الأفراد–حينها–الكذب والنفاق والتزلف والخداع، ويصبح الإنسان غريبا في مجتمعه»[3]، فالروابط التي تحكمه مع الآخرين تفقد قيمتها وتختفي وسط المجتمع لتحلّ محلها صفات النفاق والخداع والمصلحة لتحدث قطيعة بين الفرد وجماعته وعالمه.

وحسب "فروم" «الإنسان المعاصر ضعف ارتباطه بالآخرين، وبذاته، إذ فقد الشعور بالقوة والمقدرة على تخطّي المصاعب»[4]، إن الإحساس بالضعف وعدم القدرة على مجابهة العوائق التي تواجه الفرد تقضي على عزيمته في مواجهة المشكلات التي تعيقه، بل وتحدث خللا في علاقته مع الناس لتعتري شخصيته مشاعر القلق

---

[1] اريك فروم: الإنسان المغترب، ص 211.

[2] منى أبو القاسم: الاغتراب الفكري والاجتماعي في الشخصية القومية العربية، ص 38.

[3] لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1 ،2013م،ص 95.

[4] خولة دبلة: دور التصدع الأسري المعنوي في ظهور الاغتراب النفسي لدى المراهق، دراسة حالة بعض المراهقين في مدينة بسكرة–الجزائر، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015م، ص 91.

والاضطراب والخوف والانهيار... الخ مخلفة حالة اغتراب يعاني منها الإنسان؛ فاغترابه عن ذاته يساهم في اغترابه عن الآخرين وعن مجتمعه وحتى عن الأشياء المحيطة به ليصبح مسيرا لا مخيرا في حياته.

1-3 نظرية كارين هورني:

تعدّ "كارين هورني" واحدة من أصحاب المدرسة الفرويدية للتحليل النفسي، والتي سارت على خطى "سيغموند فرويد" في نظريته التحليلية لشخصية الإنسان وتأثرت به وبأفكاره، غير أنها خالفته في بعض النقاط، لاسيما في تعريفه للاغتراب النفسي، حيث اعتبرت أن هذا الأخير ينتج إثر عوامل اجتماعية وظروف ثقافية يعيشها الشخص، وأكدت أن الفرد يشعر بالاغتراب والعزلة حينما تتقطع العلاقات بينه وبين مجتمعه، وتطغى سلطة العادات والتقاليد عليه، فتقيّد أحلامه ورغباته وحريته، فيحاول قهر هذا الإحساس بكل الطرق ليسترجع حريته.

وقد تناولت "كارين هورني" موضوع الاغتراب النفسي في ثلاث مؤلفات لها، عرجت فيها على تحليل عملية حدوث الاغتراب عند الشخص، فكانت في كل كتاب تعدّل وتطوّر مفهومه إلى أن وصلت إلى إعطاء تحليل دقيق لاغتراب الإنسان وسبب عزلته عن المجتمع وعن ذاته، وهذا ما سنراه في كتابه: طرق جديد في التحليل النفسي، وكتاب صراعاتنا الداخلية وكتاب العصاب والنمو الإنساني.

- **الاغتراب النفسي في كتاب "طرق جديدة في التحليل النفسي" New Waysis Psychonolsis:**

أشارت "هورني" في هذا الكتاب إلى اغتراب الذات واعتبرته «وضعا يتضمن قمع الفردية والعفوية لدى الفرد، فإذا ما كانت الذات الفردية والعفوية لشخص ما قد أوقفت نموها الطبيعي أو أضفى عليها الغموض أو تعرضت للاختناق، إن مثل هذا الشخص يوصف بأنه في حالة اغتراب عن ذاته».[1]

[1] فيصل عباس: الاغتراب وشقاء الوعي، ص 65.

تتمثل فردية وعفوية الفرد في مشاعره وأحلامه ومبادئه التي تخصّه هو كشخص مستقل عن الآخرين، ويسعى لأجل تحقيقها في الواقع، فإذا تعرّضت للقمع وصعب على المجتمع تلبيتها، أدى ذلك إلى حدوث خلل وعدم اتّزان في شخصيته، متمثل في شعوره بالانفصال عن ذاته وعن مجتمعه.

وترى "هورني" أن الحلّ الذي يجب على المحلّل النفسي أن يقوم به اتجاه الإنسان المغترب عن ذاته هو مساعدته على استرجاع عفويته وفرديته واستعادة السلطة على ذاته.

لكن يبقى هذا المفهوم الذي تطرقت إليه "هورني" حول الاغتراب النفسي ناقصا وغير واضح المعالم، ولهذا تكلمت عنه في كتاب آخر لها بعد أن طورته وعدّلت فيه

- **الاغتراب النفسي في كتاب "صراعاتنا الداخلية" ourinnerconflicts**:

تطرقت "هورني" في هذا الكتاب إلى معنى آخر للاغتراب النفسي مكملا للمعنى الأول، فاعتبرت أن الاغتراب عن الذات هو «تعبيرا عن وضع تختلط فيه مشاعر الفرد، يختلط ما يحبه وما لا يحبه، يختلط ما يعتقده وما يرفضه، وضع يكون فيه الفرد غافلا عن ذاته الحقيقية».[1]

والمقصود من هذا القول أن الفرد عندما تصطدم رغباته ومطالبه بالواقع ويرفضها، فإنه يخلق لنفسه عالما جديدا، أو الأصح أن نقول عالما مزيفا مثاليا يعبّر فيه عن كل أحساسيه وأفكاره ورغباته، فيصدق أن هذا العالم هو ملاذه الوحيد الذي يحس فيه بالراحة والسعادة المطلقة، ومن تم يرسم صورة مثالية عن ذاته تكون مغايرة تماما عن ذاته الحقيقية، لأن هذه الأخيرة أصبحت بالنسبة إليه عاجزة فينبذها وتنتابه مشاعر الكره اتجاهها، وهنا ينشأ صراع داخل نفسه بين ذاته المثالية الكاملة وذاته الأصلية.

[1] فيصل عباس: الاغتراب وشقاء الوعي، ص 65.

وعليه، فإن حالة الاغتراب والعزلة التي تسيطر على الفرد حسب "هورني" سببها «ضغوط داخلية، حيث يوجه معظم نشاطاته نحو الوصول إلى أعلى درجات الكمال، حتى يحقق الذاتية المثالية، ويصل بنفسه إلى الصورة التي يتصورها».[1]

إذا نقول عن الإنسان أنه مغترب عندما يغفل ذاته الحقيقية، ويغرق في الأوهام التي بناها في الذات المثالية.

- **الاغتراب النفسي في كتاب العصاب والنمو الإنساني Neurosis and HumanGrowth:**

وفي هذا الكتاب تناولت "هورني" مفهوم الاغتراب النفسي من خلال تمييزها بين نوعين من الذات، هما الذات الفعلية والذات الحقيقية.

- **الاغتراب عن الذات الفعلية:** «يقصد بها إزالة وإبعاد كافة ما كان الفرد عليه بما في ذلك ارتباط حياته الحالية بماضيه، وجوهر هذا الاغتراب هو البعد عن مشاعر المرء ومعتقداته، كذلك فقدان الشعور بذاته ككل».[2] فالمعنى المراد باغتراب الذات الفعلية هو انفصال الشخص عن مشاعره وميولاته، ورغباته ومعتقداته التي يؤمن بها، وكل مايمت له بصلة عن ماضيه، فيهملها ولايعترف بوجودها فتصبح مكبوتة.

وترى "هورني" أن الاغتراب عن الذات الفعلية «سمة للشخص المصاب بالعصاب، فهذا الشخص مبعد عن ذاته فاقد للشعور بأنه قوة حاسة في حياته، مثل الشخص الذي يشعر بالخجل من مشاعره وموارده وأنشطته وبذلك يتحول إلى الشعور بكراهية الذات»[3] فالشخص المغترب –حسب هورني– هو الذي يفشل في وعي بمشاعره ورغباته ، ولا يقر بوجودها ويحتفظ بإحساس بوحدانيته الذي يضمن له الأمن النفسي.

---

[1] عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 85.

[2] المرجع نفسه: ص 84.

[3] فيصل عباس: الاغتراب وشقاء الوعي،ص65.

- **الاغتراب عن الذات الحقيقية:**

يعنى بهذا النمط « الاغتراب عن المركز الأكثر حيوية لذواتنا والحرمان من الوصول إلى المصدر للطاقة»[1] فالذات مصدر الطاقة الداخلية الكامنة في الإنسان، وانفصاله عنها يؤدي إلى تهميش الذات الحقيقية وبالتالي خمولها.

والذات الحقيقة منبع القوى العاطفية، وبحدوث اضطرابات نفسية فيها تؤدي بالشخص إلى فقدان اتزانه العاطفي، وتجعله عاجزا عن إخراج مكبوتاته ومشاعره والتعبير عنها، ومن تم فإنه يشعر بالنفور والكره اتجاهها فينعزل عنها.

وفي الأخير نستنتج أن الاغتراب النفسي عند كارين هورني تعرض للتعديل والتطوير أكثر من مرة، فقد جاء مفهومه لأول مرة في كتابها **"طرق جديدة في التحليل النفسي"** ويعنى به قمع فردية وعفوية الشخص المتمثلة في رغباته وأحلامه ونزواته الفطرية، أما المفهوم الثاني الوارد في كتاب **"صراعاتنا داخلية"** فقصدت به تلك الضغوطات الداحلية التي تكبس على شخصية الفرد وتسبب له الاختناق، وتجعله يخلق عالما جديدا يصل فيه إلى أعلى درجات من المثالية، يكون هذا العالم بديلا عن العالم الواقعي الذي حرمه من رغباته، في حين أشارت لمفهوم الاغتراب في كتابه "العصاب والنمو الإنساني" إلى الشخص المصاب بالعصاب أي المغترب عن ذاته الفعلية (مشاعره ومعتقداته وماضيه) والشخص المغترب عن ذاته الحقيقية (مصدر الطاقات العاطفية).

2- أسباب الاغتراب النفسي للشخصية:

إن ظاهرة الاغتراب النفسي للشخصية لم تحدث عشوائيا وبدون سبب، بل ساهمت في شكلها عدة أسباب وعوامل، وقد لخص علماء النفس والاجتماع هذه الأسباب في سببين هما: أسباب اجتماعية وأسباب نفسية،

[1] فيصل عباس: الاغتراب وشقاء الوعي،ص68.

وهذا التقسيم يحيلنا أن الاغتراب النفسي ظاهرة اجتماعية نفسية نالت اهتمام العلماء وخاصة في العصري الحديث بسبب تطوره وانتشاره السريع، وفيما يلي سنحاول التفصيل في هذه الأسباب وشرحها.

2-1 أسباب اجتماعية: تتمثل الأسباب الاجتماعية في:

- **ضغوط البيئة الاجتماعية**: ونقصد بها «الفضل في مواجهة هذه الضغوط وعدم التحكم بها»[1]، وإثر هذا لفضل يحدث انشطار في شخصية الفرد فتضعف ويحدث اختلال في توازنها، وبالتالي تتشكل لدى الفرد مشاعر مختلطة بين النفور والنبوذ والتعصب حول هذه الأوضاع.

- **الفقر**: إن الفقر من بين الأسباب التي ساعدت في حدوث الاغتراب النفسي للشخصية، فالمعاناة التي يعانيها الفرد من تردي مستوى المعيشة وصعوبة توفير مستلزمات الحياة، واستحالة الوصول إلى ما يتمناه في حياته، يؤدي إلى شعوره بالنقص والضعف فيلجأ إلى إخفاء هذا النقص من خلال كبته في نفسه، ويستمر هذا الكبت إلى أن يصاب بأمراض نفسية أهما اغترابه عن وضعه المعاش ومحاولة إيجاد البديل في عالمه الآخر.

- **المشكلات الاجتماعية**: تتمثل في «نقص التفاعل الاجتماعي الموجود عند الأقليات والاتجاهات الاجتماعية السالبة والمعاناة في خطر التعصب والشعور بالنقص وانعدام الأمن».[2]

- **البعد عن الدين**: إن البعد عن الدين وتعاليمه يعني تهديم شخصية الإنسان وظلالها فلا حياة هنيئة يحياها الفرد بعيدا عن دينه، هذا الدين الذي يمثل نقطة التقاء مشاعر الحب والودّ والإحساس بالأمن والثقة في النفس التي تقوي شخصيته، وبالبعد عنه يسقط الفرد في ظلام لا سبيل للخروج منه، ويصبح بدون مشاعر ولا أخلاق، وبالتالي اختلال النظام الأخلاقي لدى الفرد وصراعه مع مبادئ وقيم المجتمع الأخلاقية، يؤدي إلى اغترابه عن المجتمع ومفارقته.

---

[1] دانيال علي عباس: الاغتراب النفسي وعلاقته بالتحصيل الدراسي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم النفس التربوي، إشراف: بشرى علي، جامعة دمشق، 2015-2016م، ص 41.

[2] المرجع نفسه: ص 42.

- **التشدد الأسري:** إذا كانت الأسرة التي يعيش فيها الفرد أسرة متفهمة لمشاعره ومحترمة لذاته، فذلك يساعد على نمو شخصيته نموا طبيعيا سليما، لأنها المنبع والمصدر الأول للأحاسيس والمشاعر الإيجابية، أما إذا كانت أسرة متشددة تخضع لقوانين صارمة، وتقيّد حرية الإنسان وتسحق أحلامه ومبادئه تحت اسم العادات والتقاليد، والممنوعات التي لا يمكن له حتى التفكير بها، فإن ذلك يشوه شخصيته وتقل ثقته بنفسه، فيلجأ إلى الإنفصال عن أسرته وكبت أحلامه داخل الجزء اللاشعوري منه، وينعدم الكمال الداخلي لشخصيته ويحس بالاغتراب النفسي.

2-2 أسباب نفسية: تتمثل في:

- **الحرمان:** يعتبر سوء الحرمان العاطفي أو المادي من بين الأسباب التي ساهمت في اختلال شخصية الفرد وشعوره بالاغتراب النفسي، وذلك من خلال عدم السماح له من إشباع غرائزه ودوافعه على أرض الواقع، وعدم إعطائه الاهتمام الكافي الذي يشعره بأنه شخص مرغوب به، فحرمانه من أبسط حقوقه وسلبها منه تخلف في نفسه مشاعر مختلطة بين القلق والقهر والفشل، وبالتالي ينفصل عن ذاته وعن مجتمعه ويبحث عن عالم آخر يخفق اغترابه ويتقبل مبادئه.

- **الصراع:** يقصد به «الصراع بين الضوابط (الرغبات، والصراع بين المعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية، والصراع بين الحاجات الشخصية والواقع، وصراع القيم، والأدوار الاجتماعية والمهنية، والصراع الثقافي بين الأجيال والصراع على السلطة» [1] ، كل هذه الصراعات تؤدي إلى ظهور الأمراض النفسية وتحدث اختلال في شخصية الفرد

- الإحباط: يحدث الإحباط نتيجة استحالة وصول الفرد إلى طموحاته وأحلامه، فينتابه الشعور بالعجز والفشل وتحبط معنوياته، فيؤدي ذلك إلى تحقير ذاته والانفصال عنها

[1] دانيال علي عباس: الاغتراب النفسي وعلاقته بالتحصيل الدراسي، ص 41.

كما نجد أيضا أسبابا أخرى ساهمت في حدوث الاغتراب النفسي وانتشاره بسرعة كبيرة خاصة في العصر الحديث وهي:

- **الاستعمار**: فالحروب التي شنتها المستعمرات على البلدان الضعيفة، والسياسة الهمجية التي طبقتها على الشعوب أثرت سلبا على نفسية الفرد، وأصبح خائفا قلقا من مصيره المجهول، وتبددت أحلامه وضعفت شخصيته، وصار غريبا في بلده الذي نشأ بين جدرانه، فما تبقى له إلا أن ينعزل عن الواقع المر وينفصل عن كل شيء يسبب له الألم.

- البعد عن الوطن: يكون البعد عن الوطن إما بسبب الاستعمار الذي لم يترك له حيلة سوى مفارقة وطنه والهجرة منه، أو لأسباب وظروف أخرى لها علاقة بلقمة العيش أو شيء آخر، كلها ينجر عنها الإحساس بالغربة والاغتراب والشوق والحنين لتراب الوطن وأهله، وهذا الإحساس يطبق على نفس الفرد ويشعره بالضعف والحزن وانعدام الأمن والأمان الذي كان يشعر به في وطنه، ومن تم تتداخل وتتصارع هذه الأحاسيس لتدخله في دوامة لا خروج منها فتمزق شخصيته.

مما سبق نستنتج أن الاغتراب النفسي ظاهرة نفسية اجتماعية لازمت الفرد من القدم، وتسببت في هروبه من الواقع إلى اللاواقع، وفقدانه الإحساس بذاته، فأصبح الشعور بالقلق والحزن والكآبة لا يفارقه. وقد جسدت الكثير من الروايات العربية بصفة عامة والجزائرية بصفة خاصة مظاهر الاغتراب النفسي في ثناياها، وعبّر العديد من الروائيون المغتربون عن تجاربهم مع الاغتراب في سطور مؤلفاتهم، ومن بينهم الروائية مليكة مقدم في روايتها "المتمردة" التي سردت فيها معاناتها مع الاغتراب النفسي، وهذا ما سنراه في السطور القادمة.

3- أنواع الاغتراب:

إذا كان مفهوم الاغتراب يعد إشكالا واجه الدارسين فإن أنواعه هي أيضا تعد مشكلة أخرى يقف عندها الدارسون والباحثون في هذا الميدان ذلك أنها متعددة ومتنوعة وفيما يلي بعض منها:

3-1 الاغتراب الاجتماعي: وهو « الشعور بعدم التفاعل بين الذات وذوات الآخرين ونقص المودة والألفة معهم وندرة التعاطف والمشاركة وضعف الروابط الاجتماعية مع الآخرين»[1] جراء كل هذا يغترب الفرد عن مجتمعه ليمارس إنطواءه على ذاته لأن الآخرين في نظره لا يملكون الكفاءة لاحتوائه أو تقبله حتى أنه يقطع كل الروابط والصلات التي تجمعه بهم ويعجز عن التأقلم مع محيطه ولا يتوافق مع من حوله لافتقاده أدنى مشاعر الألفة والمحبة والتوافق معهم ليشعر بـ«الانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع، كالشعور بالانفصال عن الآخرين أو القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع أو عن السلطة الحاكمة، فينتج عن ذلك إحساس بالألم والحسرة، أو التشاؤم وبالتالي ينتج عن ذلك أحيانا سخط أو تمرد أو نقمة أو ثورة»[2]

فهناك من الناس من يغترب عن جماعته الإنسانية محدثا قطيعة بينه وبين الآخرين ويتخبط في مشاعر الحزن والألم والحسرة واليأس التي تفقده الرغبة في القيام بأي نشاط من شأنه أن يغير واقعه بمعنى آخر يتحول إلى إنسان شبه حي، وقد تكون ردة فعله معاكسة فيقوم بالسخط والثورة على الواقع الذي لا يتوافق معه ولا يتقبل ثقافته ولا معتقداته.

وهذا النوع من الاغتراب هو اشد الأنواع فتكا بعلاقات الإنسان مع أهله وجماعته.

3-2 الاغتراب الديني: «الإنفصال والتجنب عن الله[3]»، وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة واضحة عن الغرباء في حديث له يقول فيه(بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء)، قيل يارسول الله ومن الغرباء، قال الذين يصلحون إذا فسد الناس»[4][رواه أحمد]، فالغرباء هم الفئة القليلة التي بقيت ثابتة على دين الإسلام وتعاليمه.

---

(1) كريم أميري وآخرون: الاغتراب المكاني لدى المثقف في روايات سعد محمد رحيم 2003، آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، دب، العدد1، 1440هـ، ص11.

(2) لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص93.

(3) عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص101.

(4) محمود سليم هيجانة: الاغتراب في القصيدة الجاهلية، ص29.

وقد جاء الاغتراب في الإسلام في ثلاث درجات هي «اغتراب المسلم بين الناس، اغتراب المؤمن بين المؤمنين، واغتراب العالم بين المؤمنين، فغربة العلماء هي أشد أنواع الاغتراب لقلتهم بين الناس، وقلة مشاركة الناس لهم».[1]

إن الغرباء في نظر الإسلام هو الذين التزموا بتعاليم الدين وأخلصوا في عبادة الله عز وجل، تاركين كل ملذات الدنيا وشهواتها لضعاف النفوس، الذين فتنتهم الدنيا.

وقد كان لتطور المجتمع مع الحديث دافع قوي لزعزعة القيم الدينية والبعد عن الله، وقد توصلت العديد من الدراسات النفسية في الدول الغربية إلى أن «الصحة النفسية المتزنة للأشخاص من المترددين على دور العبادة (سواء المساجد أو الكنائس) تفوق بشكل جوهري على غيرهم من غير المترددين عليها أو ممن لا عقيدة إو إيمان لهم»[2] فالنعيم والرفاهية التي ينعم بها الفرد غير كافية لتحقيق السعادة والطمأنينة والراحة النفسية له مادام قلبه فارغ من الإيمان وعقله رافض للأديان فاللجوء إلى الله عز وجل والإخلاص له في العبادات وتجنب معصيته «ينشط أجهزة المناعة النفسية والجسمية التي تحميه من الأمراض والاضطرابات والشعور باليأس والاغتراب»[3]

3-3 الاغتراب السياسي: ويتمثل في «حالة يشعر فيها الإنسان بعجزه عن المشاركة في الأمور السياسية وانشغاله عن كل التطورات السياسية على الصعيدين الداخلي والخارجي جراء السياسات التعسفية التي تفرضها السلطات على معارضيها في الحكم»[4] بمعنى أنه شعور ملح يخالج الإنسان داعيا إياه إلى الإنفصال عن الوضع السياسي الراهن ورفضه رفضا قاطعا، ذلك أن هذا الفرد لا يملك إلا الرفض تعبيرا صريحا عن رأيه فهو لا قدرة له

[1] عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص101.

[2] المرجع نفسه، ص103.

[3] المرجع نفسه، ص107.

[4] فاطمة جمشيدي: ملامح الاغتراب في شعر "على فودة" وردود فعله عليها، مجلة إضاءات نقدية، فصلية، د.دار، دب، العدد السابع والعشرون، 2017، ص79.

للتأثير في النظام أو تغييره مجبور على التماشي وفق ما تمليه عليه السلطات الحاكمة ومقيد بقوانينها التي يجب الالتزام بها والتماشي تحت سلطتها وتطبيقها.

حتى أنه يمنع على الفرد المشاركة في القرارات السياسية وهذا ما يشعره بالعجز والتهميش وعدم فعاليته في مجتمعه ويفقده الثقة في السلطة فيتمرد على قوانينها.

فالظروف السياسية التي يعيشها الفرد في المجتمعات العربية يعكس «اغترابا سياسيا ملحوظا، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما نشهده في حالة الانتخابات، حيث نجد إحجاما بنسبة كبيرة من أفراد المجتمع عن المشاركة بآرائهم في مثل هذه الانتخابات اعتقادا منهم بأن مشاركتهم ليست لها أهمية تذكر وأن النتائج محسومة مقدما»[1] فالإنسان يخضع للآخرين ويتماشى وفق رغباتهم وسلطتهم ومبادئهم دون أن تكو له إسهامات في تقرير مصيره ومصيره ومصير بلاده كأنه شخص قاصر يقبع تحت وصاية الآخرين الذين يتلاعبون بحياته وأحلامه على حساب أهوائهم الشخصية ليقرر الإبتعاد وعدم الخوض في أمور السلطة والسياسة تعبيرا عن رفضه.

3-4 الاغتراب الفكري والأدبي: لطالما أثر الوجود الاستعماري على الفكر العربي وقيده فبعد ممارسته لسياسة التجهيل وطمس الهوية سعى إلى دمج وإذابة الكيان العربي في الكيان الغربي مستخدما أساليب متعددة ليخلق تبعية للغرب باعتباره المصدر والمركز. والقوة الضاربة على عكس العرب الذي «يعاني أزمة حقيقية من القلق والإضطرابات والتمزق، ويعاني هذه الأزمة مفكروه. وهذا ما دلت عليه المواقف الفكرية لمفكريه وما تحكيه تجاربهم أنفسهم سواء كانت في تشابه أو انفراد»[2] فالاغتراب الفكري اقتصر على الطبقة المثقفة والنخبة في المجتمع التي لم تجد وسطا مهيئا لطرح أفكارهم وإعطاء صورة واضحة عن معاناة المجتمعات العربية في مختلف المجالات، وبهذا «يظل الاغتراب الفكري إحدى وسائل الكشف عن حقائق الحياة الشخصية العربية، من الناحية الاجتماعية والقاعدة الاجتماعية ينعكس فيها الاغتراب الفكري، وذلك من خلال ما تعرضه الفئة أو النخبة المثقفة في

[1] عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص97.

[2] منى أبو القاسم: الاغتراب الفكري والاجتماعي في الشخصية القومية العربية، ص298.

المجتمع، ويؤثر في الواقع الاجتماعي، ليصبح اغترابا اجتماعيا، بعد أن كان اغترابا فكريا لتكتمل دائرة الاغتراب في الشخصية العربية»[1] .

فالحياة التي يعيشها الإنسان سواء كان مفكرا أو أديبا أو شاعرا تؤثر عليه وعلى إبداعاته الكتابية، ليرسم بذلك ملامحا لأشكال وصور قابعة في أعماقه عجز عن التعبير عنها بشتى الطرق إذ أن «العمل الأدبي صورة أخرى لنفسية الكاتب تعبر عن تجاربه وأزماته الخاصة»[2]، فالأديب يجد متنفسا وراحة ستشعرها بعد أن يترجم تجاربه الحياتية وأزماته الشخصية التي تولدت ونتجت عن الواقع المستبد الذي يحيا في ثناياه محاولا إيجاد خلاص لروحه المقيدة.

3-5 الاغتراب الثقافي:

قبل أن نتطرق إلى مفهوم الاغتراب الثقافي وعوامل تبلوره، يجدر بنا أولا إعطاء مفهوم واضح لمصطلح الثقافة وفيما تتمثل، فنجد محمد خليفة يعرفها بأنها: «ذلك المركب الكلي المعقد الذي يشمل المعرفة، والاعتقاد، والفن، والقانون، والتعاليم الأخلاقية، والعادات، وأي عادات أو قدرات مكتسبة بواسطة الإنسان كعضو في المجتمع».[3] بمعنى أن الثقافة تشمل كل مجالات الحياة، السياسية والدينية والاجتماعية والفكرية والفنية وغيرها، وهذا ما يسمى بالهوية الوطنية، فكل بلد له ثقافته الخاصة به التي تميزه عن باقي البلدان، وتحافظ على جوهر هويته، أما الاغتراب الثقافي فهو انسلاخ الفرد عن ثقافة مجتمعه ورفضها رفضا قاطعا لما لها من أضرار على حياته، فالمعايير الثقافة السائدة في وطنه لا تتوافق مع مبادئه وقيمه، كما أنه تقيد حريته في إشباع حاجياته، وقد عرفته سناء حامد بقولها هو: «ابتعاد الفرد عن ثقافة مجتمعه ورفضها والنفور منها والانبهار بكل ما هو غريب وأجنبي من عناصر الثقافة، وخاصة أسلوب حياة الجماعة

---

[1] منى أبو القاسم: الاغتراب الفكري والاجتماعي في الشخصية القومية العربية، ص300.

[2] محمد عباس يوسف: الاغتراب والإبداع الفني، ص108.

[3] عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص ص 53، 54.

والنظام الاجتماعي وتفضيله على ما هو محلي»[1]، فالمعنى المراد من قولها أن الاغتراب الثقافي يحدث عندما ينسحب الفرد عن مجتمعه رافضا معاييره الثقافية لعدم استطاعته الاندماج معها ويتبنى ثقافة أخرى أعجب بها، سيما إذا كانت الثقافة المتبناة تخدم مصالحه الشخصية، وتشبع حاجياته.

ويرجع سبب استبدال الفرد ثقافة مجتمعه بثقافة أخرى إلى عدة أسباب منها ما يتعلق بالاستعمار الذي يغزو البلدان الضعيفة وينشر ثقافته في نفوس شعبها، فا صادف أن كان شخص ما يرفض الأعراف والقيم السائدة في مجتمعه، وطريقة عيش أفراده التي لا تنسابه، وجد في ثقافة الآخر فرصة لإثبات ذاته، وتبني أسلوب العيش الذي يحبذه، وهذا ما يسمى «الانسلاخ من الثقافة الأم والتوجه إلى الثقافة الفرعية»[2]، تلك الثقافة التي يرى فيها الأمل لبزوغ فجر جديد على حياته، أيضا يمكن أن يكون اغترابه ثقافيا مصدره داخلي يعود إلى عدم اقتناعه نفسيا بالأفكار والموروثات الثقافية الموجودة في بلده، بمعنى آخر شعوره بالنفور من ا لآخرين وعدم قدرته على التكيف مع ثقافتهم التي في نظره ترهن حريته، فيمتنع عن ممارسة معتقداتهم ويفضل اعتزال مجتمعه حتى يجد البديل.

3-6 الاغتراب النفسي: يشير هذا النوع كما تطرقنا سابقا إلى مختلف الحالات التي يتعرض لها الشخص سواء في المجتمع أو في واقعه أو خلال العمليات الثقافية والتواصلية.

إذ تعكس عليه مختلف الحالات النفسية التي يمر بها خلال حياته اليومية وأثناء أداءه لمختلف الوظائف الحياتية وهو ما يسجل لديه عدم الشعور بكمال شخصيته وأسباب وجودها، فالغاية الأسمى للفرد هي العيش براحة وطمأنينة لكن الظروف المعيشية المنتشرة في العا لم الخارجي تعكر صفو حياته وتجبره على العيش في اضطراب حتى أنها تزعزع ثقته بنفسه لتجعل منه شخصا غير متزن فاقد لأهدافه ورغباته، ينفر من الآخرين لأنه يظن أنهم

[1] دبلة خولة: دور التصدع الأسري المعنوي في ظهور الاغتراب النفسي لدى المراهق، ص 101.
[2] المرجع نفسه، ص103.

مختلفين عنه وأفكارهم لا تتطابق مع أفكاره، وأن الواقع لا يحتويه ولا يقبله كأنه شيء متناقض له، هذا ما يدفعه لممارسة عزلته الذاتية.

لكن حتى برجوعه على ذاته لا يتخلص من حالة الضياع والصراع الذي لطالما لازمه فيبقى تائها لا يهتدي لمن يكمله ولا لمن يتوافق مع أهواءه ورغباته وأفكاره الشخصية ليبقى شخصا مغتربا حتى عن ذاته.

الفصل الثاني

تمظهرات الاغتراب النفسي

للشخصية في رواية "المتمردة"

1-السيرة الذاتية للكاتبة "مليكة مقدم":

مليكة مقدم كاتبة جزائرية ، تكتب باللغة الفرنسية ولدت "بقنادسة" في ولاية "بشار"في صحراء الجزائر، في تاريخ 5أكتوبر 1949،درست طب الكلي في جامعة وهران ،ة و هي الأن مقيمة في مدينة مونوبيليي في فرنسا، علاقتها بوالدها مقطوعة بسبب تهجمها على الدين الإسلامي،حيث رفض والدها رؤيتها والتحدث إليها.

كرست مليكة مقدم كتاباتها للدفاع عن المرأة وانتقدت التقاليد العربية والإسلامية.[1]

اتخذت من الكتابة وسيلة عبرت بها عن خلجات النفس و ما يؤجج بداخلها،فهي عانت من حالة الغربة لعيشها في المنفى (فرنسا) بعد أن عاشت حالة من القطيعة مع أهلها بسبب إلحادها وتمردها على العادات والتقاليد السائدة في المجتمع الجزائري خاصة والإسلامية عامة.

تخلت مليكة مقدم عن مهنة الطب سنة1985[2]بعد أن وجدت في الكتابة متنفسا وملاذا لإفراغ مكبوتاتها النفسية.

كان لها حضور قوي في الساحة الأدبية بإصدارها لمجموعة من الأعمال الروائية من بينها:

- **الرجال الذين يمشونles hommes qui marchent:**

أول روايات مليكة مقدم ، عرفت انتشارا واسعا في باريس.[3]

- **الممنوعة l'interdite:**

رواية حاملة لتاريخ ومراحل و فصول من حياة الكاتبة في الجزائر وفي فرنسا، وان كانت تركز كما في العنوان"الممنوعة" المحرمات المفروضة على المرأة الجزائرية آنذاك إي اختزال الحياة الشخصية كلها في صفحات محدودة،أرادت من خلالها أن يرى القارئ الرؤية الذاتية لها فيها مسألة الذكورة والأنوثة في مجتمع نشأت فيه

(1) www.ektab.com, 30/05/2021, 22:29
(2) www.benhadouga.com, 01/06/2021,07:04
(3) www.ektab.com, 01/06/2021,10:04

وتفتحت جسديا وفكريا، وتكونت فيه شخصية الكاتبة مع مجمل رغباتها، والموانع القائمة في البيئة القاسية في عمق صحراء الجزائر.

وهي رواية تحمل ضحكات صامتة، وحياة حزينة وقاسية.[1]

- **رجالي Mes hommes** :

قدمت الكاتبة في طياتها سردا لطفولتها هي و أخواتها،وما خاضته من صراعات لتبلغ مرادها،وتحقق التميز وسط مجتمع ذكوري رجحت الكفة له على حساب الوجود الأنثوي.

- **أدين بكل شيء لنسيان Je dous tout à ton ouble**:

تعكف فيها الروائية على ذكراها تستمطر غيث الأيام الماضية –الجزائر زمن بومدين- فتحيلنا سبعينيات القرن منصرم.

في عمل جرئ يتحدث عن زنى المحارم و قتل الاطفال. تتناول الرواية في مضمونها ظواهر مجتمعية سلبية رافقت مرحلة التحولات السياسية لفترة ما بعد الاستقلال من أبرزها ظاهرة الأطفال غير الشرعيين . و التأثير الأكبر فيها كان على المرأة التي باتت قاتلة وضحية في آن واحد.[2]

إضافة إلى أعمال أخرى مثل:

- **أحلام وقتلة Des revesetdes assassins**
- **الراغبة La desiran**
- **نزيد N'zid**

[1] www.al.akhbar.com, 01/06/2021, 10:47

[2] www.freedom-pdf.com, 01/06/2021,04:07

- **المتمردة La transe des insoumis** والتي هي موضوع بحثنا وسنتطرق إلى تعريفها في العنصر القادم.

تحصلت مليكة مقدم على جوائز عديدة منها:

- الأكاديمية ليتر 1991 عن" رواية الرجال الذين يمشون ".
- إفريقيا المتوسطة عن"قرن الجراد" 1992.
- إفريقيا المتوسطة عن رواية "الممنوعة"1993.[1]

[1] www. benhadouga.com, 01/06/2021,04:07.

2- التعريف بالرواية:

هي رواية للكاتبة "مليكة مقدم"،كتبت باللغة الفرنسية سنة2003م ثم ترجمها الكاتب محمد المزديوي إلى اللغة العربية،فنشرت طبعتها الأولى سنة2004م من طرف المركز الثقافي العربي للدار البيضاء في المغرب.

تعتبر رواية "المتمردة" سيرة ذاتية لما عاشته مليكة مقدم في عالمين متناقضين، العالم الأول هو بلدها الأم الجزائر الذي عانت فيه من الظلم والاحتقار والألم ومنعتها من تحقيق أحلامها وتطلعاتها، أما العالم الثاني فهو فرنسا الذي فرت إليه باحثة فيه عن الحرية الاستقلال والأمل.[1]

سردت ملكية مقدم في روايتها هذه المكونة من **254** صفحة مختلف التحولات التي حصلت في الجزائر،وكانت من بين الذين طالبوا بتحقيق مطالب الشعب الجزائري وتحريرهم من سلطة الإرهاب ورجال الشرطة الذين استلموا الجزائر بعد رحيل الاستعمار الفرنسي منها.

كما سردت في الرواية حياتها الاجتماعية و علاقتها مع أهلها، ثم ترحل بنا إلى فرنسا لتكمل سرد ما تعيشه هناك من وحدة وعزلة.

قسمت الرواية إلى أربعة فصول،كل فصل يضم جزء من حياة مليكة مقدم، كان الفصل الأول تحت عنوان "**السرير الواقف**" ،والفصل الثاني بعنوان "**ليلة الأجساد الراحلة**" ،ثم يأتي الفصل الثالث بعنوان "**جسد جنحة**"،أما الفصل الرابع فجاء بعنوان "**أحضري لي معطفا خفيفا**" سردت أحداث هذه الفصول تحت عنوانين فرعيين: "هنا" والمقصود بها فرنسا و"هناك" هي الجزائر.

[1] ينظر:مليكة مقدم:المتمردة،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب،ط1،2004م،ص4.

3- ملخص الرواية:

تروي مليكة مقدم في رواية **المتمردة** فصول حياتها وذكرياتها منذ أن كانت في فرنسا وعيشها في مدينة مونبيلي بمعزل عن الناس، تمارس حدادها وتتجرع كؤوس الألم والحزن والوحدة بعد قرار انفصالها عن رفيق دربها جون لويس، المواطن الفرنسي الذي منحها الحب في بلد أجنبي لا وجود فيه للأهل والخلان، سعت في هذا البلد إلى تحقيق أحلامها والتشبع من الحرية الفردية التي حرمت منها في الجزائر، فبعد مغادرتها للجزائر وإنهاءها للدراسة أصبحت طبيبة في عيادة لأمراض الكلى ،لتفرض وجودها في مجتمع ذكوري بإصرارها ومثابرتها لبلوغ هدفها،لكن ورغم ماحققته بطلة الرواية وبالرغم من الحرية والتحضر اللذان بلغتهما ظلت مشاعر الحسرة والحزن والوحدة ترافقها، وبقيت تترنح بين حاضرها الذي عاشت فيه مغتربة في منفاها وبين ماضيها الذي مرحلة من حياتها عاشتها في الجزائر وسط أهلها.

ووسط هذه الصراعات والضغوطات حاولت مليكة مقدم انتشال نفسها بهروبها إلى الكتابة التي وجدت فيها مكافئا لعزلتها ،كل هذه الأحداث تناولتها في مقاطع عنونتها ب"**هنا**".

بعد ذلك ترحل بنا البطلة إلى مستوى الأحداث الماضية المترسخة في ذاكرتها حول ما عاشته في الجزائر من عراقيل وصعوبات كادت تحطم حياتها فكانت قريتها "**القنادسة**"ومدينة **بشار** و**وهران** شهودا على مكافحتها لبلوغ مرادها والتحرر من التقاليد التي أعلنت ثورتها وتمردها عليها ،كما صورت لنا البطلة حياتها في كنف أسرتها وعلاقتها مع أفراد عائلتها وبالأخص جدتها التي كانت أنيسا وسندا لها، على خلاف أمها التي حرمتها من حنانها وعطفها.

كما تناولت بين سطور الرواية معاناة المرأة في مجتمع ذكوري محض لا يرى مستقبلا للفتاة إلا الزواج والمكوث في المنزل. لكن الروائية كانت متمردة على هذا الواقع الذي لا يسمح للأنثى برفع صوتها وإعلاء كلمة

الحق والوقوف في وجه مغتصبيها وقاهري عزيمتها، مجسدة صورة للمرأة التي تفرض نفسها على مجتمعها لتصنع لنفسها المكانة التي تستحقها وقد جاءت هذه الوقائع تحت عنوان "**هناك**".

انتهت أحداث الرواية بفصل معنون ب"الصفح" أودى بعودة **مليكة مقدم** لبلادها الأصل لصحراء الجزائر باحثة عن غفران ومسامحة والدها.

4- بواعث الاغتراب النفسي:

إن مختلف الاضطرابات النفسية والمشاعر السلبية المتمثلة في العجز و الاغتراب عن الذات و العزلة والحزن وغيرها تصب في دائرة الاغتراب النفسي للشخصية، هذا الأخير ساهمت مجموعة من الاغترابات الأخرى التي عانى منها الفرد في تشكله، وقد حفلت رواية "المتمردة" ببعض أنواع الاغتراب التي أثقلت كاهل بطلتها نذكر منها:

4-1 الاغتراب الاجتماعي:

رصدت الرواية ملامح الاغتراب الاجتماعي من خلال انعدام التواصل بين البطلة و المجتمع الذي تقطن فيه والانفصال الكلي عنه، بعد شعورها بالعجز و الاغتراب جراء الأنظمة السائدة في تلك الفترة.

ولعلّ من أوضح الأسباب التي جعلت مليكة تنفصل عن المجتمع الجزائري نظرة هذا الأخير للمرأة، حيث استشعرت من خلال عدة مواقف النظرة الدونية اتجاهاها منكرين وجودها نافين قيمتها، مشكلين حجرة عثرة في طريق إثباتها ذاتها مكرسا إقصاءها، لأنها في نظره خلقت لخدمة الرجل والسهر على راحته، ليس لها الحق في إبداء رأيها و المشاركة في العلاقات الاجتماعية«في ظل مجتمع أبوي ترسخ أعرافه الثقافية لنوع من التمييز بين الجنسين وتكرس لثنائية المتن والهامش» [1] ولقد عانت البطلة من التهميش حد الإشباع بداية من عائلتها التي حاولت كسر العلاقة بينها وبين العالم الأخر، من خلال منعها من الاختلاط بالآخرين وعدم الاندماج في القضايا

[1] عبد المجيد حنون:شعرية الاغتراب في رواية بروكلين هايتس، مجلة التواصل الأدبي،نصف سنوية، مخبر الأدب العام والمقارن،الجزائر،العدد12، 2018م، ص13.

الاجتماعية ولم تكن تدرك حجم معاناة المرأة في بلدها والاستنقاص من قيمتها إلا بعد أن رأت نظرة الاستهزاء ممزوجة باللامبالاة في عين والدها عندما سلمته علامتها الدراسية منتظرة الإطراء والفخر منه فكان تعليقه عليها قاسيا جدا « لا داعي لهذا التعب، فأنتِ لست ولدا يا ابنتي»[1] وكأنه يصرح بعدم رضاه عن ابنته كونها خلقت أنثى [يا ابنتي] حاملة معها دلالات الشفقة والاستنقاص، لتجسد لنا البطلة مدى العنصرية والدونية التي تعاني منها الفتاة الجزائرية في ظل الأعراف والتقاليد الجزائرية، كما أحالتنا من خلال هذا القول إلى قضية مهمة طغت في المجتمع الجزائري وهي قضية تعلم المرأة التي شكلت هاجسا بالنسبة للجنس الآخر، فالمرأة في نظره لا وظيفة لها سوى الزواج والإنجاب أما فيما يخص التعليم فقد فصلت في أمره الأعراف وأقرت على منع المرأة من تبوأ مكانة مرموقة في العلم، هذا الإجحاف الكبير في حقها أدى بها إلى الدخول في حالة نفسية مقيتة يتخللها «الشعور بالدونية والتزلف والاستسلام والمبالغة في تعظيم السيد، وسيادة علاقات التشيؤ، وتحقير الذات» [2] لتتحول إلى شخصية منعزلة ومنطوية على نفسها تمارس طقوس أفكارها في صمت، إلى جانب تهميش المرأة الذي جعل البطلة تصاب بالاغتراب الاجتماعي نجد أيضا سببا آخر زاد من اغترابها وهو الفقر، حيث أصبح كابوسها في هذه الحياة وكاد أن يوقف مسارها الدراسي الذي تسعى فيه إلى نيل المراتب العليا، فحين اشتد الفقر على عائلتها قرر والدها فصلها من المدرسة وتوفير تكاليف دراستها لكنها تحدته وخرجت للعمل علها تنقذ مستقبلها، فنجدها تسرد في سطور الرواية مدى الظلم والاحتقار الذي لقيته من الجنس الذكوري حين حصولها على عمل الثانوية وأصبحت حارسة للفتيات اللاتي يدرسن فيها، كانت معاملة مدير الثانوية ومفتشها قاسية جدا لم تر منهما سوى البطش والظلم والإنقاص من شأنها كونها فتاة، والفتاة لا يحق لها الاعتراض عن أوامرهم، وإثر هذا الظلم رافقها إحساس بالسأم والاكتئاب والحزن في آن واحد لكنها قطعت وعدا على نفسا لتغيير هذا الواقع المزري الذي تعيشه من خلال جعل نفسها قدوة للأجيال القادمة من فتيات الصحراء اللاتي يعانين في صمت تقول:« أما أنا فأفتح

---

[1] مليكة مقدم:المتمردة ،ص 55.

[2] حسين مناصرة: النسوية في الثقافة والابداع، عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1،2007م،ص13.

الطريق أمام الأجيال القادمة من فتيات الصحراء نصفح أنفسنا قدر استطاعتنا من مجتمع ميئوس منه»[1] وظفت الروائية سيلا من الصور البيانية التي تخدم تعبيرها ليظهر في أبهى حلة ويكون أقرب لذهن القارئ، أولى الصور البيانية هي الاستعارة المكنية في قولها:"أما أنا فأفتح الطريق أمام الأجيال القادمة" شبهت نفسها بالآلة التي تفتح الطرق الوعرة والمغلوقة كأنها تصرح بأن قيمتها في هذا المجتمع كبيرة جدا لدرجة أنها هي من تخطي الخطوات الأولى نحو طريق مجهول النهاية، محاولة ترك بصمتها في المجتمع الجزائري وتغيير نظرته للمرأة و تعديل بعض الأنظمة الاجتماعية التي تحد من حرية المرأة وتقييدها، لكنها رجعت من هذا الطريق خائبة تحاوطها اضطرابات نفسية ومشاعر سلبية مزقت شخصيتها لأن كمية الإحباط والألم والحزن الذي تعيش فيه لم يعد يطاق: « أقاوم وينقصني دعم يقظ ضد هذه المعاهدات المفروضة، من البديهي بالنسبة لي، أن الصراع غير مكانه فقد خرج من حيطان والديا وأصبحت الآن بقامة الجسم الاجتماعي بقامة سوء استعمال مشيد كصرح أخلاق(...) حياتي شجار دائم وبسبب كثرة الظلم تحولت الشكاسة إلى سلاح ذو حدين »[2]لخصت البطلة في هذا القول معاناتها من الاغتراب بين أهلها وفي مجتمعها لتبين لنا أنها غير قادرة على البقاء في بلد لم تنل منه سوى الإحساس بالغربة موظفة استعارات وتشبيهات تخدم المعنى كقولها ، "أن الصراع غير مكانه فقد خرج من حيطان والديا" تجسيد لشيء معنوي في صورة شيء مادي جعلت من الصراع وهو الشيء المعنوي في صورة شيء مادي قادر على تغيير مكانه مثل الانسان على سبيل الذكر كما استعانت بخاصية التشخيص في عبارة"بقامة الجسم الاجتماعي بقامة سوء استعمال مشيد كصرح أخلاق" مشبهة نفسها بالبنيان العالي المتطاول على بنيان مجاورة له لتجع من نفسها طويلة القامة لدرجة أنها متعالية على الأخلاق السائدة في المجتمع رغم أنها غير متصفة بتلك الأخلاق التي تصفحها ضد الكلمات الرذيئة والمنحطة التي تصفع بها لمجرد خروجها عن الأعراف السائدة والمبجلة داخل الوسط

[1] مليكة مقدم:المتمردة ،ص136.

[2] المصدر نفسه، ص135.

الاجتماعي الذي تعيش فيه، مصورة لنا التخبط والفوضى المستحوذة على حياتها، ملخصة إياها في عبارة "حياتي شجار دائم ".

فبعد فشلها في بناء جسر بينها وبين الآخرين لم تستطع تقبل الخضوع للمجتمع الذكوري، فقررت لملمت بقايا كرامتها والرحيل بعيدا عن مصدر غربتها، كانت فرنسا عالمها الجديد الذي استنجدت به ليحفظ حقوقها لكنها وبالرغم مما حققته من نجاح باهر، وما نالته من حرية إلا أن شعورها بالغربة لم يندثر بل ظل ملازما لها إذ لم تستطع التأقلم مع المجتمع الفرنسي، وافتقدت فيه الإحساس بالأمن والأمان، وفي كل مرة كانت تعبر في سطور الرواية عن الخوف الذي تعيشه وحيدة هناك لاسيما بعد التهديدات التي تصلها كل يوم تقول: « أصبحت أعيش منعزلة على صخرتي العالية ولا أشارك الحياة الاجتماعية في مدينة مونبيليي، لم أشارك فيها أبدا»[1] إذ كنّت الكاتبة عن انعزالها التام عما حولها بقولها "أعيش على صخرتي العالية"، فالصخرة العالية ماهي إلا ذلك المكان ذي الحدود التي تجعلها منفصلة عن الممارسات الاجتماعية مع الآخر الفرنسي.

ما نستشفه أيضا أن محرض شعور الاغتراب لديها هو المجتمع الجزائري الذكوري الذي تصادمت نظمه الاجتماعية مع وعي البطلة، فإنكاره للمرأة والحد من حريتها في نظرها سببه خوفه من المرأة المثقفة، أما المصدر الثاني فهو المجتمع الفرنسي الذي ساندها في فرض وجودها كأنثى لها كيانها المستقل عن الرجل، لكنه لم يستطع إدماجها في جوه الاجتماعي ولا المشاركة في العلاقات الاجتماعية. كل هذه الهزائم والانكسارات التي لقيتها من كلا المجتمعين أدت إلى إصابتها بعقد نفسية كثيرة تمثلت في العجز واللامعنى والتمرد والعزلة وغيرها من المشاعر والأحاسيس النفسية التي تدخل في حيز الاغتراب النفسي.

[1] مليكة مقدم:المتمردة ،ص 219.

4-2 الاغتراب الديني:

يعتبر الاغتراب الديني من بين أنواع الاغتراب الذي أدى إلى إصابة الفرد بالاغتراب النفسي، بسبب تلك الفجوة العميقة بينه وبين الله عز وجل، والصراع القائم بين القيم الدينية وذاته العاصية لهذه القيم،ولقد تميزت شخصية بطلة الرواية باغترابها الديني الذي اختارته عن قناعة فمنذ صغرها تنكر وجود الله رغم أنها نشأت وتربت في بيئة دينية ووسط عائلة تحكمها قواعد إسلامية ،ويرجع سبب اغتراب البطلة عن الدين لسببين هما:

السبب الأول تمثل في الواقع الأليم الذي تعيش فيه المرأة باسم الدين، فحسب رأيها تسبب التعاليم الدينية في تقييد حريتها ومعاناتها، من خلال التمييز الذكوري الذي نصت عليه فقد كان المجتمع الجزائري أكثر المجتمعات التي تحارب المرأة وتضطهدها بكل أنواع السب والشتم والاحتقار، ما أدى بها إلى عدم الاعتراف بهذا الدين والنفور منه وترك كل ما يؤذي أنوثتها ويقف حاجزا أمام أهوائها تقول:« لم يحظ والداي بحظ ارتياد أي مدرسة ولئن مدرسة قرآنية فهما مسلمان بهذا الإيمان الذي لم يحتك بأي خيار، صلابة صنعتها قرون من التقاليد الشفهية في خدمة إله واحد»[1]استخدمت الاستعارة في قولها "صلابة صنعتها قرون" حيث ربطت شيء مادي بشيء معنوي جعلت الصناعة مرتبطة بالقرون إذ شبهت القرون بالإنسان الذي يمتلك حرفة صناعة الأشياء لتكسب بذلك الشيء المعنوي صفة مادية، فقد كانت فكرة وجود الله لديها تدور في فلك العادات والتقاليد وترى – حسب رأيها- أن هذا الإله الذي يعبدونه ويتبعون أوامره جاء عن طريق المشافهة، بمعنى توارث المجتمع فكرة وجوده من أجدادهم، ليصبح عادة مقدسة لديهم لا يمكن الاستغناء عنها، رغم أنهم لم يلمسوا أي دليل على كينونته.

[1] مليكة مقدم:المتمردة ،ص 18.

إن اغتراب البطلة عن الدين والبعد عنه ما كان ليمر مرور الكرام عليها، بل ترك معاناة نفسية جعلتها تكتم جل الرغبات والشهوات المحظورة داخلها لأنها ذات نفس أمارة باللامرغوب تحب اختراق الحواجز التي تنتصب كسجن لها، فلما كان تجاوزها جريمة انجرفت إلى بحر اليأس يتقاذفها العجز والإحباط والوحدة.

أما **السبب الثاني** لاغترابها يعود إلى كرهها للأصولية التي كانت من بين الأسباب التي جعلتها تغادر الجزائر نلمس ذلك في قولها:« لم أعد إلى الجزائر منذ سنة 1977 غياب دام ثلاثة عشر سنة الأسباب لا يمكن حصرها: الأصولية وقطيعتي لعائلتي »[1]سعت البطلة لتقديم تبريرات عن قرار عدم عودتها، من خلال ادراجها لعبارة "الأسباب لا يمكن حصرها" بهذه العبارة حاولت اعطاء تبرير لنفسها ولقرائها أنه هناك أسباب عدة حرمتها من العودة إلى الديار ولم تقف على سبب واحد فقط بل في أسباب كثيرة تعذر عليها حتى عدها وحصرها، ومن بين تلك الأسباب الأصوليين الذين كانوا بالنسبة لها هاجسا يمنعها من العودة إلى بلدها بسبب التشدد والتطرف الديني الذي طغى في المجتمع، وقد استعملت البطلة كلمة الاصولية نسبة إلى المصطلح الغربي الذي أطلق على الجماعة التي تتبع الدين ودلت هذه الكلمة عند الغرب على «استعمال العنف باسم النزعة المحافظة في خدمة كل ماهو مقدس، هو مايلخص الحركة الأصولية استعمال السلاح وسفك الدماء، والقتل الجماعي، وبتر الأعضاء كعقاب وطرد وعزل الأقليات التمييزات القبلية، التطهير العرقي والإرهاب، كل هذا يندرج في بنوذ الأجنحة اليومية للأصوليون.» [2] فهم في نظر مليكة مجرمون عاثوا في الأرض فسادا ونشروا سمهم في قلوب أفراد المجتمع تحت شعار الحلال والحرام، وقد ازداد كرهها ومقتها لهم حين هاجموا المرأة غير المحجبة وحرموا عليها الخروج دون ستر كامل جسمها، والمعروف أن بطلتنا لم تكن من اللواتي يخضعن لأوامر الدين ولا حاملين لسننه، لهذا فضلت العيش في غربة واعتزال الناس على العيش ذليلة تقول:« هذا ما ألقى به الأصوليين في أوجه وسيقان الفتيات

---

[1] مليكة مقدم:المتمردة ،ص 104.

[2] عامر عبد زيد كاظم الوائلي: الأصولية نماذج مختارة من اليهودية-المسيحية-الإسلامية،المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية،دب، ط1، 2018م، ص16.

اللواتي يتخلص ذنبهن الأوحد في كونهم تجرأن على تحدي الشارع من دون حجاب»[1] اعتبرت الأصوليين عدوا لذوذا للمرأة عامة ولها خاصة، ففي كل مرة تصلها أخبار سيئة عن المجازر التي ارتكبوها والضحايا الذين سقطوا على أيديهم، فيزداد خوفها وألمها على ما آل إليه البلد من طرف هؤلاء المتطرفين.

يبدو أن الفكر الغربي قد سيطر على وعي البطلة، وبالأخص نظرتهم السلبية حول الاصوليين التي ورثتها عنهم جعلتها تنكر وجود الله، وبهذه النظرة ظنت أنها نجت من الوقوع تحت سيطرتهم لكنها لم تكن تدري أن بابتعادها عن الدين وقعت في دوامة للصراعات النفسية، التي تفتك بشخصيتها وأنها فتحت بابا من الآلام والمعاناة التي لا سبيل لإغلاقها.

4-3 الاغتراب الفكري والثقافي:

عانى العديد من الأدباء والشعراء من الغربة النفسية لحملهم أفكارا لم تجد القبول والترحيب الواسع في أوساطهم الاجتماعية، مما خلق بداخلهم اضطرابات نفسية وفكرية، دفعتهم إلى البحث عن بيئات أخرى تقبل أفكارهم ومبادئهم «هذه الغربة التي عانوا منها فكريا نتيجة كساد سوق أدبهم وضياعه بين الأهل والوطن، والتهميش الذي حل بالفئة المثقفة، وقد أخذ التعبير عن هذا النوع صورا متعددة »[2] هذا النفور والضياع الذي لاحق نخبة المجتمع إثر تميزهم عن باقي الأفراد خلق بداخلهم شعور بالتيه وسط الأهل وداخل الوطن وقد تمت ترجمته في أدبهم لأنهم وجدوا فيه القالب المناسب لصب تلك المشاعر الجياشة المسيطرة على دواخلهم .

وقد تجلت ملامح الاغتراب الفكري في الرواية من خلال توجهات وأفكار خاصة بالبطلة فاستقلالها عن العائلة وعيشها في المنفى بعد تحررها من العادات والتقاليد التي أحكمت لجامها طوال مدة عيشها في الجزائر إلى حين إعلان ثورتها، منذ صغرها كان لها توجهات خاصة بها، وقوع البلاد تحت وطأة الاستعمار وكذا تحكم

---

[1] مليكة مقدم:المتمردة، ص225 .

[2] بشير أعبيد: الهزيمة في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري،رسالة ماجستير،كلية الآداب واللغات قسم الأدب عربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2008/2009، ص52.

الأعراف السائدة في المجتمع في حياة أفراده عامة والنساء خاصة ساهم في ثورتها وتمردها وفرض ذاتها وأفكارها تقول بصريح العبارة:«دون أن أتنصل من أصولي حصل عندي يقين بأن طائفتي الحقيقية هي طائفة الأفكار.»[1]وكأنها تؤكد من خلال هذا الأسلوب الخبري أنتعدد الطوائف وتبني وتحيز كل شخص لطائفة على حساب الأخرى جعلها تصرح بصوت مسموع وتنفي تبنيها لأي طائفة دون أخرى بل إنها خلقت لنفسها طائفة هي طائفة الأفكار، فحسب وجهة نظرها هي الطائفة التي تتناسب معها وتتماشى مع شخصيتها.

هاجرت إلى فرنسا محاولة التحرر من القيود المفروضة عليها، واتخذت من الكتابة وعاء صبت فيه معتقداتها ومبادئها وأيديولوجياتها. اغتربت بالكتابة عن كل ما يحيط بها وتخلت عن كل شيء من أجلها تقول:« الكتابة، الكتابة ودوران الكلمات تحبط التباريح الشديدة. الكتابة وتسويد البياض جسد الورق هو صفحة الحياة.»[2]تحاول الكاتبة في هذا الموضع أن تفرغ شدة تعلقها بالكتابة في استعارتين مكنيتين، مخبرة من خلالهما أن الكلمات ذات فراغات تحمل أكثر من تعبئة، ذلك أنها تبوح بأحاسيس كل إنسان ومن ثم تخبر بما يريد وبما لايريد، معطية كلا من "الكلمات"و "التباريح" تشخيصا من خلال لفظتي "الدوران" و"تحبط" وكأنها إنسان، فالكلمات حية تحوي بداخلها "حياة" مادامت تفصح عن نبضة متوترة تارة وعن نبضة فرحة تارة أخرى، ومن ثم كان منها ما يقتل ويذيب جبل العزيمة تماما ككلمات والد الكاتبة حين أقبلت إليه تزف له فرحها بعلاماتها الجيدة، ومنها ما يحيي كالتي شجعت بها الكاتبة نفسها لتكمل مسيرتها نحو مبتغاها.

وقد مارست اغترابها عن الآخرين وانغلقت على نفسها لتندمج مع الكتابة، التي أفرغت فيها كل ما يحتوي داخلها. وكان لها تأثرا واضحا بالثقافة الغربية منذ صغرها لها إطلاعا واسعا على إبداعات كتاب غربيين تقول:«أكد بلا انقطاع وأقرأ حتى ساعة متأخرة قراءات هامة تضع معالم على أرقي: "رامبو"، "كوليت"، "جيونو"، "سارتر"، "بوفوار"،التي فتح لي كتابها "الجنس الثاني" أفاقا وقوى من عزيمتي. "كامي" كان بالنسبة لي

[1]مليكة مقدم: المتمردة،ص77.

[2]المصدر نفسه،ص77.

غريبا .وكذلك "ياسين".»[1] معاناتها من الأرق جعلتها تحاربه بقراءة كتب لمؤلفين غربيين لتغترف من بحور معرفتهم وتتغذى من أفكارهم ومبادئهم وثقافتهم لكن رغم اطلاعها الواسع على الثقافة الغربية إلا أنها بعد هجرتها نحو فرنسا وعيشها لأعوام عدة هناك بقيت غريبة عن ثقافتهم وعن حياتهم، فقدبقيت جذورها العربية مسيطرة عليها فرفضها للمجتمع العربي واتجاهها نحو المجتمع الغربي لإيجاد مقعد فيه لم يورثها سوى ضياع هويتها وذاتها، لتبقى في حيرة إلى أي مجتمع تنتمي هل إلى المجتمع الجزائري الذي ولدت فيه وترعرعت في كنفه وتمردت عليه؟ أم إلى المجتمع الفرنسي الذي منحها حريتها وسمح لها بتحقيق أحلامها؟ هذا الأخير الذي تعلمت لغته رغم حقدها عليه وكرهها له، اتخذت من اللغة الفرنسية وسيلة فكرية عبرت فيها عن خلجات نفسها ساعدتها في مشوار حياتها وتحقيق أحلامها ويظهر ذلك في قولها:«تمنحني رغبة هائجة في أن أمحي منكل ما يحمل كلمة فرنسا،باستثناء اللغة، لم أفكر في التخلي عن اللغة في أي لحظة.»[2] من خلال هذا المقطع يتضح لنا اغترابها عن لغتها الأم ومحوها من قاموسها اللغوي، والدليل على ذلك أن جل مؤلفاتها كتبت باللغة الفرنسية يظهر من خلال قولها نفي لأية نية لها في التخلي عن اللغة التي لطالما لجأت إليها لتخرج مكنونات نفسها مستعينة بها نفي قاطع لمراودة هذه الفكرة لها من خلال عبارة" لم أفكر في التخلي عن اللغة في أي لحظة" نظرا لأهمية تلك اللغة عندها حتى وإن كرهت فرنسا.

إضافة إلى الاغتراب الفكري نجد الاغتراب الثقافي الذي كان له حضورا بارزا في الرواية فعجز مليكة على التكيف مع عادات وتقاليد المجتمع نما بداخلها حس العتو والطغيان عليها، رفضها للقيود والاستحقار الذي واجهها منذ الصغر رغم ردود الفعل التي تلقتها تقول: «لا أنكر أن رفضي للتقاليد عنف أمي فقد تلقيت أكثر مما أستحق. وهذا على الأقل علمني أن لا أحس قط بالذنب...البعاد لا يعود، فقط، إلى رحيلي عن الجزائر، بل إنه يأتي من بعيد»[3]كانت التقاليد صخرة جاثمة على صدرها حاولت دوما التخلص منها والخروج من الضغوطات التي

[1]مليكة مقدم:المتمردة ص133.

[2]المصدر نفسه ،ص77.

[3]المصدر نفسه ،ص188.

فرضت عليها رفضها لها أورثها غضب أمها عليها مما زاد الجرح تقرحا وزاد المشكلة تعقيدا فعلاقتها مع والدتها كانت سيئة منذ الصغر وموقفها هذا زاد الطين بلة تلقيها لكل أنواع العقوبات لم يأثر في موقفها تصرح بذلك من خلال استعمالها لصيغة المبالغة "أكثر مما أستحق" مؤكدة بذلك ردة فعلها اتجاه كل ما عانته وما تلقته بكون لم يعد عليها إلا بالإصرار والعناد. فقد كان تمردها على الأعراف ناجما عن التهميش والاستحقار الذي واجه الأنثى في مجتمعها، وطغيان وسيطرة الفئة الذكورية على الجنس اللطيف فكل شيء مباح للذكر على عكس الأنثى، كل شيء محرم عليها فبمجرد بروز أنوثتها يصدر قرار إحالتها إلى الحياة الزوجية فالمرأة هي المتضرر الأكبر من هذه العادات المفروضة وهذا ما جعل بطلة روايتنا تطغى عليها وترفضها تقول:« الجزائر بعد ثلاثين سنة من استقلالها تقوم بتخرج فرنكوفونيين أكثر مما تم تخريجه خلال ثلاثين سنة من الاستعمار! غير أن الجنس اللطيف كان الخاسر الأكبر »[1]ورد في القول تعجب ساخر ممزوج بالحسرة قصد السخرية من الوطن، الذي استنفد كل قواه في حرب ضروس لطرد مستعمر عثا في أرضه فسادا، ليجد نفسه بعد تحرره شكليا أنه معتنق للغته ومحافظا عليها، أما الحسرة كانت اتجاه المرأة التي خرجت من المعركة تجر أذيالا مثقلة بخيبات الأمل والتنازلات ولازالت ترمم تلك الخسارات بخسارات أخرى محفوفة بالحرمان، فقد حرمت من الدراسة وزوجت بعض فتيات القبيلة بينما فضلت بعضهن المكوث في البيت على قطع أميال بحثا عن علم ينتفع به، فبعد استقلال الجزائر اقتصر التعليم وتخريج الطلاب من الجامعات على فئة الذكور، أما فئة البنات فقد كان لها حضورا طفيفا أو شبه منعدم لمعانتهن من أشكال الإهانة والاستحقار، هذه العادات والتقاليد التي حرمت المرأة من بلوغ المكانة المرموقة داخل المجتمع، فكان مصيرها دائما النبوذ والتهميش والقيام بواجباتها اتجاه الأسرة دون الحصول على أبسط حقوقها دون الإصغاء إلى صراخها الداخلي في السماح لها بإعلاء صوتها، هذا ما جعل بطلة روايتنا ترسم مصيرا مغايرا لمصير هؤلاء النسوة اللاتي انصهرن داخل الأعراف السائدة لتتجه نحو فرنسا باحثة عن مجتمع يقدس المرأة ويحترمها مجتمع

[1]مليكة مقدم:المتمردة،ص122.

تتساوى فيه حقوقها مع الواجبات المفروضة عليها لكي تسترجع شيئا من كرامتها وتقضي على العزلة والوحدة والحزن الذي كان يسيطر عليها في بلدها.

4-4 الاغتراب العاطفي:

من بين أنواع الاغتراب التي أدت الى اغتراب الشخصية نفسيا نجد الاغتراب العاطفي الذي ساهم بشكل كبير في شعور بطلة الرواية بالحرمان والاكتئاب والانفصال العاطفي بينها وبين عائلتها، بسبب غياب الألفة والمحبة بينهما، ولقد عانت الكاتبة كثيرا من جفاف عاطفي شديد في أسرتها، إذ لم تشعر بذرة حنان من والديها بالأخص والدتها التي حرمتها من أبسط حقوقها في نيل الدفء الأسري.

كانت تنتابها غيرة كبيرة عند رؤية الترابط الأسري بين صديقتها المدعوة "فتيحة" و أهلها ومدى الاهتمام الذي تتلقاه من والديها في حين أنها لا تتذكر آخر مرة قبّلها والدها واحتضنها صدر أمها تقول: «كنت دائما أغار من "فتيحة" بسبب علاقتها الحميمة مع أبويها، ثمرة مساندة وحب غير مشروطين مستقوية بهذا »[1]عللت الكاتبة غيرتها من صديقتها لامتلاكها المساندة والحب التي افتقدتهما هي من خلال عبارتها الناقلة لصور الافتقاد الذي عانت منه "ثمرة مساندة وحب غير مشروطين"، فحسب رأيها كانت تلك المساندة والحب الذي غمر فتيحة ثمرة تحصلت عليها من والديها بدون شروط أو مصالح، فمن هنا بدأت أعراض الوحدة والاكتئاب والخوف تظهر على سلوك البطلة وازدادت عصبيتها وحدتها نتيجة هذا الحرمان والعطش العاطفي الذي أرهق ذاتها لتصبح فتاة متمردة على الظلم الذي هي فيه. رغم أنها حاولت بشتى الطرق كسب حب والدتها وجذب انتباهها لكنها فشلت في ذلك حتى بعد مغادرتها الجزائر ومفارقتهم لمدة طويلة لم تتلق أي اتصال منها تسأل فيها عن حالتها في بلد غريب عنها.

[1] مليكة مقدم :المتمردة ،ص147.

ظلّت البطلة تعيش حالة انطواء على نفسها يتخللها الحب والاشتياق لعائلتها، تمنت لو تستطيع استجماع شجاعتها والعودة إلى كنفهم لكنها تخشى المجازفة تقول:« يوجد دائما حزن أقل حين تكون العودة ممكنة، لقد أصبح همس البحر نداء لي من جديد و لمسته على الجزء المكلوم.»[1]استعملت الصورة البيانية الواردة في القول "همس البحر نداء لي من جديد" واصفة شوقها للعودة إلى بلدها الذي فارقته منذ زمن كأن البحر يهمس لها ويشكو لها افتقادها وتأثير غيابها عليه يناديها لتمتلك القوة والشجاعة وتلتفت خلفها لمن فارقتهم دون سابق توديع على أمل اللقاء من جديد ليعصف بجوارحها ويضع يده على الجرح المتقرح الذي لم يتوقف نزيفه رغم مرور كل تلك السنين.

تواصل البطلة حياتها المنعزلة في فرنسا والحزن والشوق لا يفارقانها ففي كل تنهيدة تخرج ينبعث منها حنين جارف لوجوه والديها حتى وإن كانت في بعض السطور تعبر عن كرهها لأمها لكن صورتها لم تبرح مخيلتها، وأضحت تتسابق مع الزمن كي تلقاهم، وبعد مرور أيام جاءتها الفرصة التي كانت تنتظرها وتخشاها في نفس الوقت إذ عادت إلى بلدها و اجتمعت بعائلتها لكنها استغربت كمية الجفاء الذي وجدته من والدتها تقول: «كنت قد تمنيت خلال فترة أن تقلق أمي أخيرا على حياتي ، وأن تسألني فقط إن كنت بخير أو كيف أعيش عزلتي»[2]حملت البطلة بداخلها أماني ظلت مخنوقة في حنجرتها تمنت اهتمام أمها لحالتها والخوف على مصيرها وعلى مشاعرها من الخدش وعلى حياتها من الضياع، باستعمالها لكلمة "تمنيت" تظهر لنا الروائية أن هذا الشعور بقي مجرد أمنية لم يجد سبيلا ليجسد ويكون حقيقيا وملموسا لديها.

وإلى جانب افتقاد البطلة حنان الأم وعطف الأب عانت من افتقاد الحبيب بعد قصة حب دامت سنوات جمعتها مع رفيق دربها "جون لويس" المواطن الفرنسي الذي أعلنت حبها له ووقفت ضد العائلة والأعراف من أجل تكليل هذا الحب بالزواج، عاشت معه أجمل أيام حياتها تذوقت معه طعم الحب والمغامرة والسفر من مكان

(1) مليكة مقدم :المتمردة،ص230.

(2) المصدر نفسه، ص242

لآخر، جمعتهما دروب باريس ودول أخرى قامت بزيارتها كانت شاهدة على هذا الحب الكبير، لكن في رمشة عين انتهى هذا الزواج بالطلاق وفشلت في أكبر قصة حب عاشتها لتتخبط بعد ذلك في مرارة الألم والوحدة والحزن والاشتياق تقول معبرة عن حالتها بعد الفراق: «لا تكوني منافقة، فالقارب ليس هو أقسى ما يفتقد، كيف تعيشين دون "جون لويس" –بألم شديد– كم من مدة سيستغرقها هذا الاحتضار؟،لست أدري.»[1]

إنّ كثرة الصدمات التي تلقتها من عائلتها وأحبائها وقلة الاهتمام بها وبمشاعرها و الجفاء العاطفي الذي عانت منه ،كان سببا وجيها لاختلال توازن شخصيتها ،وإحساسها بالنقص والتهميش، وقد استعانت الكاتبة بأساليب إنشائية ساعدتها في ترجمة أحاسيسها، كان أولها النهي الظاهر في أول القول "لا تكوني منافقة" فهي في هذا الأسلوب الإنشائي تعنف نفسها لتوقظها من الأكاذيب التي سردتها على نفسها إذ لا تفتقد القارب بقدر ما تفتقد جون لويس الحبيب الذي تقاسمت معه حياتها والأثر الذي خلفه غيابه عليها، يظهر ذلك في تلك الجملة الاعتراضية التي صورت من خلالها شعورها –بألم شديد– الذي عصف بروحها لتبقى في حالة استجواب لنفسها.

5- مظاهر الاغتراب النفسي:

5-1 العجز:يعد العجز أحد أبعاد الاغتراب النفسي ويعرف بكونه«شعور الفرد باللاحول واللاقوة والاستسلام وأن هناك عوامل خارجية تحدد مصيره كالقضاء والقدر والحظ والمسؤولية وأن قدراته الشخصية لا تساعده على تحقيق ما يريده و أنه يفتقد الإحساس بأنه قوة مؤثرة ومقررة في حياته »[2] فالإنسان العاجز ينظر إلى نفسه على أنه لا يملك أدنى قدرة لتغيير واقعه الذي يرفضه ولا يقوى على التأقلم فيه، بل ويخضع للأمر الواقع معتمدا في ذلك على الحظ الذي إما أن يقف معه فيغير حاله للأحسن أو أن يضل طريقه إليه ليرضى بقضائه وقدره ليقتنع

---

[1] مليكة مقدم :المتمردة ، ص40

[2] عبد الحميد محمد الشاذلي: الاغتراب النفسي لدى الشباب الجامعي،مجموعة أجيال لخدمات التشويق والنشر والإنتاج الثقافي،القاهرة،ط2008،1،ص17.

بأنه شخص مكبل يعيش حياته وفق ما يمليه عليه غيره وما يتوافق مع عالمه الخارجي، ولا أهمية لما يريد هو وما يطمح لتحقيقه، فيفقد إيمانه بنفسه وبقدراته الشخصية التي قد تجعل منه فردا فعالا وايجابيا في مجتمعه.

عانت بطلة روايتنا من الوحدة التي ساهمت في تغذية شعورها بالعجز الذي أصبح ملازما لها كظلها برز ذلك في قولها: «وكذلك النزوات العابرة ذات مساء التي جعلتني ألوذ بالفرار في وسط الليل، هذا الشيء، لم أعد أستطيعه، فضلا عن أن جسدي المخرب غير قادر على الرغبة في اللحظة.إنما ينقصني، هو الراحة فقط، واللجوء إلى الأدرعة من أجل نسيان جنون البلد، ونسياني أنا والقدرة على النوم.آه،كم أريد أنام !أنام لفترة طويلة.»[1]افتقادها للراحة ورغبتها في النسيان والهروب من واقعها الذي تدور فيه أحداث تفقدها حلاوة الاستمتاع بحياتها وتعكر مزاجها، فمصاحبة الأرق لها يجعل لياليها الحالكة طويلة الأمد، وحدتها التي تنغص عليها وتحرمها رفاهية الحياة كل هذا جعلها هائمة في مشاعر الفقد والألم والضياع، فغياب الأهل بالدرجة الأولى جعلها تشعر بفراغ كبير يحاصرها، حتى في ظل هذا الغياب هي لا تجد لا صديقا يؤنسها ولا حبيبا يبعث روح الحب والحياة في داخلها،لتظل بذلك حبيسة منزلها وعزلتها تفتش عن أبسط السبل التي توصلها إلى الراحة وتخلصها من لعنة الأرق التي تلازمها لتتخبط في حالة من الحسرة والألم، نجدها تعبر عن الحريق الذي يكوي داخلها بتلفظها ل "آه" مختصرة سيلا من العبارات والكلمات الواصفة لشعورها. كما أن حالة بلادها تزيد الطين بلة خوفها على بلادها التي تركتها خلفها تعاني صراع الهوية والنهوض على قدميها بعد خوضها لحرب ضد الاستعمار الغاشم الذي دمرها عن آخرها، تقول: «في الليالي التي أعود فيها من هذه الساحات والمنتديات والقداسات الكبيرة المتكررة عن الجزائر، وقلبي ملطخ، فإني أحس، بطريقة شديدة، غياب جسد ملجأ. جسد؟ أي جسد؟ لا.»[2]استعملت صورة بيانية "قلبي ملطخ" تاركة الدلالة مفتوحة بعد توظيفها لكلمة ملطخ لملأها بكل ما من

[1] مليكة مقدم:المتمردة،ص58.

[2] المصدر نفسه، ص58.

شأنه أن يلطخ قلبها مستعملة جملة اعتراضية باحثة في ذلك عن الجسد الذي يحمل همومها لتبوء رحلة بحثها بالفشل عن الجسد الذي يكون ملجأها لما تعانيه مما يكرس عملية الفقد والإحساس بالاغتراب أكثر.

بقي شعور العجز ملازما لها حتى في المساهمة بأي شيء يغير من الحالة التي آلت إليها البلاد، وذلك من خلال قولها: «ألقيت نظرة مذعورة نحو رزمة الجرائد التي اشتريتها في طريقي.في هذا المساء، لاأحس بالشجاعة –الغضب الشديد؟–لمواجهة كل هذه الخرابات. ومثل مسرنمة،أتيه، للحظات في منزلي. ثم أتوجه لإحضار بطانية لأتمدد، جفلة، على أريكة في مواجهة المدفأة.»[1]خوفها حتى من رفع الجرائد وتصفحها خشية قراءة المزيد من الأخبار السيئة عن ما يجري في الجزائر، فهي لا تمتلك الشجاعة لسماع أو قراءة المزيد من الوقائع الصادمة عن بلادها ينتابها الغضب وتفقد مسار توجهها داخل بيتها لتفيق وتستسلم في الأخير وتتوجه إلى ممارسة طقوس عزلتها، استعانت بجملة اعتراضية مختصرة شعورها في تلك اللحظة –الغضب الشديد؟– أنهتها بعلامة استفهام دلت على عدم فهمها لحالتها تلك ولغضبها المسيطر عليها.

تعيدنا الكاتبة إلى ماضيها القابع في ذاكرتها لتسطر لنا أحداث حياتها السابقة التي تخلصت من قيودها لتصير المرأة التي هي عليها. ناقلة لنا بذلك إحدى أهم القضايا التي أثارت داخلها إنها واقع المرأة في المجتمع الجزائري وما تلقاه من أشكال الإهانة والتقصير والحرمان،كأنها معصية وخطيئة للوالدين اللذان رزقا بأنثى،لأن المجتمع يظن أن الحظ الوافر هو ولادة الذكر والحظ العاثر هو ولادة الأنثى، لتصور لنا حال النسوة في قريتها وهن ينتظرن ولادتهن بفارغ الصبر راجيين الله أن يكون رزقهن ذكر وليس أنثى، والمعاملة القاسية التي تتعرض لها الأنثى من وأد وكلام جارح وتهميش منذ ولادتها حتى وفاتها، معبرة عن سخطها على حالتهن وعجزهن الذي أدى بهن لرضى بهذه الحال على حساب حياتهن تقول:« لم يكن فيها هذا الكم من التنازلات التي تستطيع أن تدمر عبر الشعور بالعجز الذي تولده أو تطوعه، والذي تستطيع، بمكر، أن تعده للاستسلام عبر هذا الابتزاز العاطفي

[1]مليكة مقدم:المتمردة، ص38.

الفظيع للأمهات. إذا لم تفعلي مثلي، فأنت تنكرينني وتقتليني !»[1] وظفت أسلوب شرط في عبارة "إذا لم تفعلي مثلي، فأنت تنكرينني وتقتليني!" اشترطت على نسوة قبيلتها أنهن إذا امتنعن عن إتباعها وفعل أفعالها فهن إذا يتفقن على قتلها وقطع كل ما يربطهن ببعضهن البعض، أنهت عبارتها الشرطية بعلامة تعجب أضمرت خلفها معان كثيرة، كأنها تتوجه إليهن بسؤال خفي هل تقبلن أن تنكرن معرفتكن بي؟ هل يرضيكن قتلي؟ لتبقى الدلالة مفتوحة محتملة لأي جواب، فعجز هؤلاء النسوة في تغيير حالهن والوقوف في وجه هذا الظلم والثورة مطالبين بحقهن في الحياة والحلم والسعادة لا مبرر له، حتى بطلة الرواية في مواجهة هذه القضية وهي داخل مجتمعها لا تجد ردة فعل نحو هذه الإهانات سوى مجموعة من الشتائم تخفف بها من حدة غضبها، لكنها في الأخير وجدت الخلاص من ذلك المجتمع الذكوري لتنتشل نفسها نحو مجتمع آخر فرضت فيه وجودها وأثبتت فيه ذاتها ورسمت أحلامها، لكن رغم ما وصلت إليه وحققته إلا أن بذور الضعف والرقة بقيت بداخلها رغم الصمود والتمرد الذي كان باديا في شخصيتها، فها هي تصف لنا ضعفها بعد تلقيها مكالمة من رجل عجوز من الجزائر:«تصورت عن نفسي صورة مغلوطة، يمكن اختزالها إلى صور الضعف والاستسلام. دموعي لا تتفجر إلا من أجل تخليد انتصار تم تحقيقه بسوء نية. لذة الشقاء مازالت تشكل جزءا من عجزي. وهو عجز يكيس عقوبة لم يتم قضاؤها.»[2] فانهيارها إثر قطع الاتصال مع الرجل العجوز –وهو رئيس مؤسسة في الجزائر بعد صدور روايتها الأولى **"الرجال الذين يمشون"**– وانفجارها باكية بعد شعورها بلذة الانتصار المتدفق من أعماق معاناتها، خلف آثارا على نفسيتها بقيت ندباتها حتى بعد رحيلها إلى مدينة مونبيليي، ليبقى شعور العجز يراودها وتشعر بالضعف والهوان وقلة الحيلة، وقوة هذا العجز الذي كبلها ليرمي بها في شبكة الوحدة والألم رافضة لأي احتكاك بالعالم الخارجي، كأن حياتها أصبحت عبثا لا فائدة منها، ليتحول كل شيء في نظرها إلى اللاجدوى فحياتها وواقعها الذي تحيا فيه أضحى لامعنى له.

---

[1] مليكة مقدم:المتمردة، ص92،93.

[2] المصدر نفسه، ص102.

2-5 اللامعنى: «ويقصد به مدى إدراك الفرد فهمه أو استيعابه لما يدور حوله من أحدث وأمور عامة أو خاصة(...)ويشير اللامعنى (فقدان المعنى) إلى شعور الفرد بأنه لا يمتلك مرشدا أو موجها للسلوك والاعتقاد.»[1] فاللامعنى يراد به كون الفرد يعيش حياة اللامبالاة بما حوله ولا يسعى لتحقيق أي شيء يفيد به غيره، فلا يهمه إذا ماحقق استفادة لذاته أو غيره، بكونه لا يجد أي توافق مع عالمه الخارجي، يراود هذا الشعور بطلة روايتنا في مواقف متعددة من حياتها تجد نفسها في مواجهة حياة لا تدري أين هي محطة نهايتها، لم تعد تعرف وجهتها إلى أين؟ وإلى من؟ هي ذاهبة يظهر هذا في قولها:«وحدها قوة العادة هي التي تقودني الى البيت حين أنزع قميص الطبيب. جسدي والعالم لم يعد لهما معنى هزات عديد حولتهما الى فضلات.»[2]كأنها تكني عن اللامعنى الذي تشعر به حالما توصد باب بيتها بعد مشقة يوم حافل بالضغوطات في عبارة "جسدي والعالم لم يعد لهما معنى" إنها حالة انقطاع لكل شرايين التواصل بينها وبين ماحولها، فقط يصبح بيتها صومعة حزنها واغترابها، يذكرها بهما حديث النفس ودقات الساعة دقة دقة، بل إنها عند عودتها إلى البيت بعد انتهاء دومها تلوذ إلى الفراغ الذي يحصن صمتها وحزنها، تعود إلى غرفتها لتغرق في التفكير والكتابة من جديد عندما تطأ قدماها عتبة بيتها، لينتهي دور العالم الخارجي لديها وتركن إلى رتابة أيامها المسترسلة التي تمر دون أن تترك بصمة تذكر في حياتها، فتصبح حياتها بلا هدف ولامعنى تطغى عليها صور العادة والتكرار، وتفقد حماسها اتجاه الحياة وخوض غمارها. يظهر ذلك من خلال حوارها الذي يدور بينها و بين نفسها « وبما أنه لم يعد لدي أي امتحان قادر على وضعي في حالة تنبه، وكي يصفحني بالتحدي ،فإنه لم يعد لدي أي رهان قادر على إخفاء تمزقاتي. أما المال فلم يستطع أن يفعل شيئا.»[3]فهي لم تعد تمتلك الرغبة في خوض أي مغامرة وأي رهانات حيث سيطر اللامعنى على شخصيتها وضرب بأحلامها عرض الحائط، الأحلام التي بنتها في وقت ليس ببعيد كشراء المنزل وعيش حياة الترف والرفاهية

[1] عبد اللطيف محمد خليفة: الاغتراب، ص37.

[2] مليكة مقدم:المتمردة،ص27.

[3] المصدر نفسه، ص27.

بعيدا عن أي نوع من أنواع الشقاء التي غرفت منها حد الارتواء، لكنها اصطدمت بحقيقة أن تلك الأحلام والآمال لم يكن لها الحظ الوافر لتجسد على أرض الواقع، فها هي تخطو قفزات متفاوتة في حياتها لكنها اليوم تفتقد حتى ذاتها ورغبتها في التواصل والتحدي وممارسة أي فعل أيا كان، يأتي شعور اللامعنى متدفقا من شعورها باللانتماء، وفقدان الهوية الذي يحدث تفاقم وتوتر أكثر في الشخصية الروائية.

3-5 اللانتماء: يشير إلى كونه « احساس الفرد بعدم الانتماء لمن حوله بعزلته رغم معيشته معهم.»[1] فاللانتماء لا يكون فقط بفقدان الشخص لجنسية تحدد بلده الأصل أو كنية تحدد تابعيته لعائلة معينة، بل هو ينبع من شعور الفرد كونه لايجد ملجأ يأوى إليه من قسوة هذا العالم، بسبب افتقاده لأب أو أخ أو صديق يكون حائطه الساند له في لحظة انهياره، واحتياجه لمن يشجعه على المثابرة ويمد له يد المساعدة للنهوض بعد كل سقوط، وشعوره بأنه لا وجود لمن يخبأه من عواصف وتقلبات الحياة. تظهر سيطرة هذا الشعور على بطلة روايتنا من خلال مقاطع متعددة من روايتها من بينها قولها :«كل هذه القطائع، كل عمليات البتر هذه، كانت في البداية، من أجل اتخاذ قراري الشخصي ومن ثم المحافظة عليه (...) لم أعد قط أطيق المزاوجة بين الرفض والهجران والتنفس، وبين التخلي. لم أعد أريد هذه المزاوجة.لقد هجرت عائلتي و الصحراء وغرامياتي الجزائرية والبلد... وهذه أول مرة أظل فيها في مكان قطيعة ما.»[2]وضعت الكاتبة علامة الحذف لترك المجال للقارئ لكي يذهب بفكره وخياله إلى تلك الأمور التي خلفتها وراءها عند رحيلها من وطنها، فهي لم تكتفي بذكر أسرتها وبلدها وغرامياتها بل أكملت عبارتها بثلاث نقاط حملت دلالة تعدد الأشياء التي تخلت عنها، وكذلك استعمالها للفظة "قطيعة ما" إذ لم تحدد أي قطيعة استوقفتها وأخذت منها وقتها وجعلتها تؤنب نفسها وتستذكر الأسباب وتحصي الخسائر نظرا لتعدد القطائع، وليس وجود قطيعة واحدة فقط فقد كان ثمن حريتها التي تحصلت عليها بعد مشوار طويل من الكفاح غاليا جدا، حيث تخلت عن عائلتها وذهبت إلى منفاها بقدميها حتى زواجها بالرجل الفرنسي الذي جعلها تواجه

[1] عبد الحميد محمد الشاذلي: الاغتراب النفسي،ص17.

[2] مليكة مقدم:المتمردة،ص19-20.

غضب أبيها جراءه كلل بالفشل، ها هو رجلها الفرنسي جون لويس الذي وهبته نفسها يتركها بمجرد ركونها إلى الكتابة، إذ تخلى عن حبها ليلملم بقاياه، ويبتعد عنها تاركا إياها مع الكتابة التي أخذت جل وقتها، لكن ورغم كل شيء سعت إلى تحقيقه أضحت اليوم وحيدة حد الاختناق،حد الضياع، ضياع هويتها وذاتها وافتقادها لأي نوع من أنواع المساندة، لتصبح بلا أحد وبلا هوية إلى أين تنتمي؟ من تجد في ظهرها يسندها لتبقى واقفة وشامخة؟ على كتف من تبكي إذا عصفت بها مكائد الحياة ومصاعبها؟.

تسخر من نفسها وسط وحدتها قائلة:«أنا بلا عائلة بسبب المعركة، وبلا أطفال عن طريق الاختيار، محبة من دون عشيق.»[1]انتهجت في هذا القول أسلوب التعليل كونها بلا عائلة يعود للمعركة، وبلا أطفال لأنها هي من اختارت وأد أمومتها، ومحبة من دون عشيق لأنها هي من تخلت عنه وعن نفسها من أجل الكتابة باحثة عن مبررات لحالتها التي آلت إليها، فتصرح بعدم امتلاكها لعائلة تلجأ إليها آخر النهار وتبادر بقص عليهم أحداث يومها الشيق، ترى لمعة الفخر في عيونهم،حتى أنها لاتمتلك أطفالا يحملون دمها وحماسها وروح الحب والمغامرة التي بداخلها، لاوجود لابن أو ابنة ترث عنها حتى ملامح وقسمات وجهها. فبعد تخليها عن عائلتها وجدت في **جون لويس** الرفيق والحبيب الذي أغناها عن كل الوجود حتى أنها اختارت أن تحرم نفسها من ممارسة الأمومة ليأتي الدور عليه وتتخلى عن رجلها الفرنسي الذي وجدت فيه الأب والأخ والزوج اختارت أن تبقى مع نفسها منغلقة على ذاتها.

ظلّت تعاني في صمت لا عائلة ولا أولاد ولا زوج، وحيدة تماما لم تشكل فرنسا يوما وطن لها بل ظلت تشعر بالغربة رغم مرور عدة سنوات وهي تعيش هناك بعد هجرتها من الجزائر ظل شعور اللانتماء يراودها، فقدت عائلتها ثم وطنها نجدها تصرح بذلك من خلال مقطع من الرواية تقول فيه:« ظلت الخلاصة الوحيدة لهذا الخراب، وهي أنه لا وطن لي.أحسني عديمة الجنسية.»[2] تعترف بعدم انتماءها من خلال إيرادها لعبارتين

[1] مليكة مقدم:المتمردة، ص58.

[2] المصدر نفسه،ص75.

مترادفتين "لاوطن لي" ،"عديمة الجنسية" وكذا قولها:« عديمة الجنسية.عديمة الجنسية في بلدي بالتبني، فرنسا هذه المرة أحسست برغبة في التقيؤ من جراء حصولي على الجنسية الفرنسية.»[1] وظفت التكرار لعبارة "عديمة الجنسية" مؤكدة لعدم انتماءها لأي بلد فظلت فرنسا بالنسبة لها منفاها الذي شعرت فيه بالاغتراب الذي نستشفه من خلال عبارتها "أحسست برغبة في التقيؤ من جراء حصولي على الجنسية الفرنسية" لتبرز مشاعر الكره والاشمئزاز التي تحملها بداخلها اتجاه هذا البلد ولا تكن له أي مشاعر الحب والفخر والاعتزاز.

كان خوضها لكل تلك الصراعات في سن مبكرة كفاحا لها للعيش وسط المجتمع الذكوري الذي يعلي من قيمة تقاليد وعادات لا يمكن الخروج عنها لأنها دستور المجتمع، جعلها تصب كل تلك المعاناة داخلها لتكون حصيلة كل هذا فقدان هويتها ووطنها، حتى بعد رحيلها عن الجزائر باحثة عن البيئة الخصبة التي تنمو فيها، ظل شعور اللانتماء ملازما لها للأسباب عدة تقول:« لم أعد إلى الجزائر منذ سنة 1977. غياب دام ثلاث عشرة سنة. الأسباب لا يمكن حصرها: الأصولية وقطيعتي مع عائلتي. فعائلتي لم تقبل أبدا مغادرتي للجزائر.ولم تقبل أن تراني أعيش مع رجل فرنسي.»[2] وقولها أيضا:« لم أذهب إلى الصحراء. ها لقد مرت ثلاث عشرة سنة لم أعد فيها الى بيتنا...»[3]كل هذه المدة الطويلة لم تمتلك مليكة الجرأة والقوة اللتان يدفعانها للذهاب إلى موطنها وأهلها، فعودتها كانت مقترنة بأسباب كثيرة أفقدتها انتماءها إلى وطنها مكررة تلك اللفظة " لم أعد"،فعدم رجوعها ولد بداخلها ألما كبيرا، لتستعمل خاصية الحذف معبرة به عن آثار هذا القرار عليها طوال فترة الغياب عن الوطن.

ثلاثة عشرة سنة من الغياب الذي أرهقها لم تستطع العودة لأسباب عدة حصرتها في الأصوليين الذين يسعون لقتلها وقطيعتها مع عائلتها بسبب هجرتها إلى فرنسا وزواجها من رجل فرنسي، كانت هذه الأسباب أكبر العقبات التي اعترضت طريق عودتها إلى صحراء الجزائر، لكن لابد من أن هذه الأسباب لم تكون المانع

---

[1] مليكة مقدم:المتمردة ،ص77.

[2] المصدر نفسه، ص104.

[3] المصدر نفسه،ص106.

الوحيد لعودتها فهي رغم عيشها وسط تلك العائلة لم يفارقها شعور الوحدة، ربما خوفها من الرفض الذي ستواجهه إن عادت أو عدم استقبال أهلها لها بعد كل هذه السنوات والأحداث، تصرح بافتقادها لحنان أمها في هذا المقطع من الرواية :« على كل حال هم ليسوا فقط أحرار،ولكنهم أيضا محل دلال وغنج وملاطفة أما أنا فلا حق لي في أي شيء من كل هذا وما علي إلا أن أخدم وأن أذعن وأن ألوذ بالصمت و إخراس الشقاء الذي تسببه لي كثير من التميزات في الحنان»[1]التمييز الحاصل من طرف أمها بين أولادها تفضيل هذا على حساب الآخر، أحدث فجوة بين الأم وابنتها، وغدا إحساس اللانتماء لدى مليكة لتشعر بالضياع داخل عائلتها، حتى أمها التي أنجبتها لم تقدم لها أي نوع من أنواع العطف والحنان لتشعرها بوجودها بجانبها ووقوفها وراء ظهرها لإسنادها، كان كل الحنان موجه لإخوتها على حسابها هي التي افتقدتها منذ صغرها رغم كونها البنت البكر للعائلة، عادة ما تركض البنت إلى أبيها أو أمها شاكية حتى وإن وقعت من على دراجتها أو أثناء ركضها أو من سخرية أصدقاءها منها، كل هذه الأمور افتقدتها بطلة روايتنا فهي لم تركض إلى والديها شاكية باحثة عن من يمسح دموعها، كانت دائما هي ملجأ وسندا لنفسها تقول:« لم أذهب عند والداي إلا من أجل تسليم مرتبي لوالدي ولاحقا سأختفي وراء مبررات عديدة من أجل تأخير زياراتي وأعهد بالمال إلى أختي التي كانت تعود كل مساء.»[2]فعودتها إلى بيتها بعد أيام كانت تقضيها في مدرستها الثانوية التي استقرت بها لبعد مسافتها عن المنزل كان مقترنا بإعطاء والدها المال الذي تحصلت عليه لمزاولتها كمعلمة ومرافقة للبنات اللواتي يمكثن هناك أيام دراستهن، حتى أن زيارتها تلك لم تكن تدوم طويلا فكانت تفتش عن الأعذار والمبررات التي تتيح لها الفرصة للغياب لمدة أطول، واجهت موقفا حرك مشاعر الغيرة بداخلها وهو افتقاد فتاتين في السكن إلى أهلهما خاصة حنان الأم، هذا ما جعلها تقف مع نفسها متسائلة :« لماذا ينقصني مثل هذا الإحساس الهام جدا؟ ما الذي

[1] مليكة مقدم:المتمردة،ص112.

[2] المصدر نفسه،ص132.

تعطل مابين عائلتي وبيني؟ في أي لغز ترسخت هذه اليقينيات البنوية؟»[1]في هذا القول ورد أسلوب الاستفهام تتساءل الكاتبة عن السبب الذي خلق هوة وفجوة بينها وبين عائلتها، كان غرضها منه تبيان حسرتها وحزنها على هذه الحالة التي وصلت إليها مع عائلتها،غيث من التساؤلات ينهمر عليها بغرض إثارة مشاعرها النائمة في سبات عميق علها تجد الإجابات الشافية لندوبها المتقرحة، كان هذا التساؤل نابع من أعماقها فبالرغم من عيشها في كنف عائلتها منذ الولادة إلا أنها لا تشعر بالحنين والشوق بعد مفارقتهم لها، إنها دائما ما تشعر بالرغبة في الابتعاد عنهم لا إلى الرجوع إليهم والارتماء في أحضانهم هي تنظر إلى نفسها أنها بلا عائلة، وبلا وطن لا تنتمي إلى المكان الذي هي به، ففي كثير من الأحيان كانت غاضبة وساخطة على نفسها لأنها كانت الضحية لا الجلاد في خضم هذه الأحداث، نجدها تخاطب نفسها موجهة كلامها إلى جسد اخترعته من مخيلتها:«مت في مكانك،وليمت بلدك في داخلك.أما أنا فقد أصبحت بلا وطن!»[2]باستعمالها لأسلوب الإنشائي "مت في مكانك" موجهة أمرا لجسدها وناقلة صورة التعالي الذي مارسته مستحقرة ومقللة من قيمة ذلك الجسد الذي لم يعد يغنيها عن شيء، لم تشكل الجزائر لها الوطن لأنها ذاقت ويلات الألم والمعاناة بداخلها، لأنها تخبطت في أوجاعها التي سببتها لها تلك القيود التي فرضت عليها لتجهر بالصوت العالي لا وطن لي ولا جنسية ولا عائلة إنها غارقة في خيالها الذي انتشلها مما كانت فيه. لم تشكل العائلة في حياتها الفارق الكبير بل كانت أكبر القيود التي شبت في كنفها، لا تفعلي ..لاتحلمي أنت فتاة..لا مستقبل لك، كل هذه الإحباطات باح بيها الأب والأم لابنتهما، حتى المجتمع كان ينظر إليها على أنها مختلفة عن باقي أقرانها في إصرارها وعزيمتها على بلوغ مرادها، هذه العائلة التي واجهتها بالتعنيف والرفض والقسوة اعتبرتها غير موجودة أصلا تقول« أوجد منذ فترة طويلة في وضعية يتعذر إصلاحها مع هذا الإحساس والتصور الذي تمثله كلمة "عائلة". كلمة قادمة من المستحيل. قادمة من

[1] ا مليكة مقدم:المتمردة ،ص132.

[2] المصدر نفسه،ص137.

المستحيل أكثر مما هي قادمة من الغياب.»[1]تكرارها لعبارة "قادمة من المستحيل" في محاولة منها التأكيد على عدم وجود أي قيمة لكلمة عائلة في قاموسها، فانفصالها عن العائلة كان عن طيب خاطر وكذا رحيلها نحو فرنسا لتأسيس حياة خالية من القيود التي فرضت عليها دوما مقتلعة نفسها من جذورها، مضت في طريقها دون أن يرف لها جفن على فراق عائلتها التي ألغت وجودها في حياتها ولم تنتظر عودتها يوما، يبرز ذلك في مقطع من الرواية تصف فيه علاقة أفراد عائلتها ببعضهم البعض:« يوحدهم الرباط نفسه ولكنهم غائبون عني إنهم موجودون ،هنا، فقط ليشعروني بأنهم في مكان آخر معا.هم معا من دوني.»[2]اتخذت بطلة الرواية من عبارات اللوم والشعور الحاد بالفقد أو ربما هو شعور بالغيرة من أفراد عائلتها اللذين يصل بينهم رباط واحد يجعل الكل منهم كأنهم واحد، إلا هي التي طالما كان يستحوذ عليها شعور مثخن في القلب، هي التي كانت قطعة شاذة وسطهم، المتفردة بينهم لم تجد جزئها المكمل بقيت غريبة ووحيدة بينهم حتى في نومهم كانوا كالبنيان المرصوص هي فقط من كانت بنيانا مهدوما، لم يصل وجعها إليهم ولم تستطع أن تبوح بألمها لأي واحد منهم بقيت من دونهم وحيدة وهم مجتمعون.لتتخذ من الكتابة أنيسا لها، هم الذين وجدوا تكاملهم في اجتماعهم وترابطهم عكسها هي وجدت نفسها في الكتابة، منحتها الكتابة الحياة تقول:« الكتابة تفرض نفسها في آخر الحرية لمن لا عائلة له. انها قسمتي كمغتربة وتسلل من كل سجن»[3] إن خوضها لرهان الكتابة جعلها تستغني عن كل شيء حولها الوطن، العائلة والحبيب وحتى المهنة التي درست أعواما من أجلها تخلت عن الجميع من أجل الكتابة ورجحت الكفة لها على حساب الأشياء الأخرى ليبقى انتماءها الوحيد هو أفكارها وما يجتاح داخله، هذه القطيعة التي أحدثتها كانت ناجمة عن تمردها.

---

[1] مليكة مقدم: المتمردة، ص175.

[2] المصدر نفسه،ص158.

[3] المصدر نفسه، ص177.

5-4 التمرد:«ويقصد به شعور الفرد بالبعد عن الواقع، ومحاولته الخروج عن المألوف والشائع وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة، والرفض والكراهية والعداء لكل ما يحيط بالفرد من قيم ومعايير.»[1]فالإنسان المتمرد هو الذي أعلن ثورته على ما هو سائد في مجتمعه على ما يقيد ويحط من عزيمته وما لايسمح له بممارسة حقوقه وإعلاء صوته في وجه الظلم والاستبداد، وتمرده يكون ناجما عن سخطه وكثرة معاناته وصبره على من هم أعلى مرتبة ودرجة إلى أن يصل إلى الحد الذي يهيئ له الفرصة لإثبات ذاته وتحقيق رغباته.

كان هذا البعد الاغترابي بارزا في المتن الروائي أولى إشاراته هو عنوان الرواية "**المتمردة**" فقد كان العتبة التي تحيلنا إلى معرفة أن التمرد كان حاضرا بقوة في هذه الرواية، المتمردة هي المرأة التي أعلنت سخطها وثورتها على مالا يعجبها وما يقيدها والمتمردة في روايتنا هي مليكة مقدم بطلة سيرتها التي سطرت فيها قصة كفاحها معلنة تمردها على العادات والتقاليد والمجتمع والعائلة.فشغفها بالقراءة والكتابة صنع منها هذه المرأة التي سعت إلى تغيير واقعها واثبات وجودها رغم ما قاسته من عثرات متحررة من تلك القيود التي كبلتها تقول:« أفكر في الظلام، في قبيلتي التي ولدت فيها. لم أهجرها عن رفض أو عن تذوق للمغامرة. لقد قطعت نفسي عنها كي لا أموت اختناقا»[2]كأنها تبرر هجرتها لقبيلتها بالنجاة من حكم الموت الذي طبق عليها فعبارة "كي لا أموت اختناقا" لخصت خوفها من الموت وليس أي موت فقط بل حددت المصير الذي تخشاه وهو الموت خنقا، فهي لم ترحل لخوض مغامرة والتسلية واكتشاف العالم،بل كانت غايتها الأولى هي اكتشاف ذاتها وتحقيق أحلامها لأن العالم الذي تحيا فيه لم يسمح لها بالتحليق بعيدا كانت العادات والتقاليد غالبا ما تضرب بأحلامها عرض الحائط وقد أفصحت عن موقفها منها قائلة:« فقد كنت دائما ضد التقاليد. ألتحم بها حين ترتعش من المشاعر وتغذي العقل وتثري الذاكرة.وأواجهها وأطلقها حين تتجمد في محظورات وتنتصب كسجن»[3]وظفت استعارة مكنية في تشبيهها

---

[1]عبد اللطيف محمد خليفة:الاغتراب،ص42.

[2]مليكة مقدم: المتمردة ،ص ص 17،18.

[3]المصدر نفسه، ص 18.

العقل بالكائن الحي، الذي يتغذى كي ينمو حذفت المشبه به وهو الإنسان أو الحيوان أو النبات وتركت قرينة دالة عليه وهي التغذي مانحة للمعنى قوة ورونقا براقا قربه لذهن القارئ أكثر فأكثر، ولم تكن هذه الصور البيانية الوحيدة الواردة في القول بل كان حافلا بالاستعارات كعبارة "تثري الذاكرة" وكذلك "تنتصب كسجن"، وقد كانت هذه الأعراف السائدة في القبيلة منصفة أحيانا في الحقوق وظالمة أحيانا كثيرة فالكاتبة تحتمي بها حين تكون منصفة في إعطاء المرأة حقوقها وتثور عليها حين تمارس عليها كل أساليب الظلم والإهانة.

لم يكن التمرد حلا لكل النسوة فمنهن من كن يثرن الصمت والرضوخ للأمر الواقع والقلة منهن من كن يعلو صوتهن في وجه الجور الذي طبق عليهن، وكانت مليكة من بين النسوة اللاتي أعلن تمردهن ويظهر ذلك في قولها:«إن الفتيات لايصرخن أبدا، خصوصا إذا كانت الصرخات عن تمرد. فيما يخصني أنا فقد عرفت هذا، عرفت قوة الصراخ. عرفت رنته من الفضيحة ومن المحرمات وفي حالة عدم الاستماع إلي وعدم فهمي، فإني أعتقد بأن الصراخ قادر على مؤازرتي»[1]لجأت الروائية إلى النفي في عبارة "إن الفتيات لا يصرخن أبدا" نفت صفة الصراخ على الفتيات مقترنة بكلمة أبدا مؤكدة على الظلم الذي تعانيه المرأة داخل مجتمعها فقد حرمت الفتيات حتى من حق الصراخ والدفاع عن حقوقهن، وحدها بطلة الرواية من عرفت قوة الصراخ ووقعه على نفسية أمها فقد نجحت في استعمال هذا السلاح ضدها والذي كان نقطة قوتها في إعلان رفضها وعدم الخضوع لأوامرها، هذا ما جعل علاقتها معها متوترة عكس إخوتها الذين تمتعوا بالحرية المطلقة تقول: «إن كبرياء الأطفال، هؤلاء الملوك الصغار بالقوة، إذا ما أضفنا إليه تشدد الآباء يثيران سخطي. أفضل أن أموت على ألا أقوم بأي مجهود خلال بعض الترتيبات.»[2] إن الحرية الممنوحة لهؤلاء الصغار جعلهم ملوك البيت عكسها هي التي كانت شبيهة بالخادمة تسهر على راحتهم وإطعامهم وترتيب البيت من وراءهم خضوعا لأوامر والدتها هذا الخضوع لم يدم طويلا لتعلن رفضها لهذه الحال ووقوفها ضد أمها وطلباتها. فالتمييز بين الأبناء الحاصل من طرف والديها غذا روح

[1] مليكة مقدم:المتمردة ،ص113.

[2] المصدر نفسه،ص112.

الطغيان والعتو بداخلها، تصرح بذلك من خلال قولها:«إن تمييزات والداي هي التي سببت عصياني وغذت ارتباكي وانشقاقي قبل أي وعي بالتمييزات الاجتماعية فهي التي قذفت بي في سلة الكتب.»[1] التفريق الذي طبقه والديها اتجاهها قطع كل الروابط معهم خاصة والدتها التي كانت تمنح الحب والحنان لأولادها الصغار، أما هي فظلت محرومة من ذلك الإحساس لتجد نفسها دائما دون أحد لاوجود لشخص تخيفه فكرة فقدانها، خروجها عن عادات وتقاليد القبيلة أغضب أفرادها خاصة والدها فكان العقاب المفروض عليها هو الزواج لأنه الحل الوحيد لتمريغ أنفها وإخضاعها لإمرة رجل يحكم غرورها وغطرستها، ليأتي قرار تزويجها وهي بنت الرابعة عشر سنة دون أخد رأيها، هذا ما زادها خشونة وشجعها على إعلان ثورتها مستغلة غفلة أفراد عائلتها لتهرب، معبرة بذلك عن رفضها لهذا الزواج ويظهر ذلك في قولها:« استفدت من المهلة التي تركها لي والداي، اللذان كانا مشغولين باستقبال ضيوف الرحمن، تسللت من المنزل، ومن القرية، أطلقت ساقي لريح»[2] استعملت الكناية في عبارة "أطلقت ساقي للريح" كناية عن السرعة التي انطلقت بها لتفر من قريتها محاولة استرجاع حريتها المسلوبة، وقفت في وجه التقاليد التي أحكمت لجام المرأة وأهانتها وحطت من قيمتها وحرمتها من أبسط الحقوق، مرسخة الصورة التي رسمها أهالي القرية عنها كونها امرأة ضد الاحتقار والإهانة، ثورتها ضد واقع الأنثى داخل مجتمع كانت له نظرة سوداوية اتجاهها، تشير إلى ذلك من خلال هذا المقطع:« بعد أشهر، ستأتي فضيحة الفاتح من نوفمبر لتتويج صيتي كامرأة متمردة وفاسدة الأخلاق. وهكذا لن يجرأ أحد من الآن فصاعدا على تزويجي من دون علمي»[3] توالت الأحداث والمشاكل وطبقت عليها كل أنواع العقاب الزواج بالغصب والضرب ...الخ لكن دون جدوى فكل هذا لم يردعها ولم يخفف من حدة تمردها وعصيانها تصرح بذلك في قولها:« لا أنكر أن رفضي للتقاليد عنف أمي.ولكن فيما يخص العنف فقد تلقيت أكثر مما أستحق وهذا علمني ألا أحس قط

[1] مليكة مقدم:المتمردة ، ص154.
[2] المصدر نفسه، ص123.
[3] المصدر نفسه،ص124.

بالذنب...»[1] تركت المجال مفتوح أمام فهم القارئ باستخدامها لخاصية الحذف كأنها توحي له بأن الكلام لايزال متواصلا لكن العبارات لا تحتمل ثقل ذلك المعنى، فاختارت أن ينظر القارئ لقولها بجوارحه وأن يفهم مرادها حتى وإن انتهي الكلام لديها.

فتمردها على عادات وتقاليد المجتمع أثار غضب أمها حتى أنها كانت تتلقى الضرب والعقاب من طرفها لكن هذا لم يؤثر بها ولم يجعلها تعود عن رأيها ولم يشعرها بالتقصير أو الذنب بل زادها إصرارا وقوة لبلوغ تطلعاتها وتحقيق رغباتها تقول:«كان بإمكان العنف وانعدام التسامح أن يقوداني إلى نزوع فردي أهوج ولكنني من شدة ما تلقيت من عقاب أصبحت عصية على الخضوع للصفاقة أو اللامبالاة»[2]من خلال هذا القول نجد أن الكاتبة كانت قادرة على مواجهة ظروفها العصيبة، فعلى الرغم من أنها تعرضت لمختلف مظاهر العنف من طرف والديها وكذلك القيود المفروضة عليها سواء من المجتمع أو العائلة الذي ساهم في انحرافها عن الصواب سالكة بذلك طريقا غير مستقيمة وظهور مختلف المظاهر الهوجاء والسلبية إلا أنها أصبحت غير مبالية وغير متأثرة بما تعرضت اليه، رافضة لواقعها الذي كبلها وحرمها من أبسط حقوقها، لتعلن رفضها وتتحدى الأوضاع المنتشرة في بيئتها فتتشكل شخصيتها المتمردة وتثبت ذاتها وسط عالم ذكوري يحط من قيمة المرأة، تقول معبرة عن تحديها لكل ما حولها:«دفعت نفسي إلى الأمام منغرسة كشظية في هذا العالم الذكوري، وسط تنافساته، وجشعه وعقائده»[3]جعلت من نفسها عجلة أو قاطرة معطلة تحتاج للدفع لإكمال طريقها كأنها بهذه العبارة"دفعت نفسي" تلخص كفاحها، فبعد أن فشلت كل التحفيزات التي مارستها على نفسها اختارت أن تكمل مسيرتها بدفعها لها وجرها نحو الهدف المنشود، فقد صنعت نفسها بنفسها وذللت الصعاب التي واجهتها لتتخذ منها سلما تصعد بيه نحو القمة .

---

[1] مليكة مقدم:المتمردة، ص180.

[2] المصدر نفسه، ص177.

[3] المصدر نفسه،ص136.

تمردت على عادات وتقاليد أجدادها، وذهبت لدراسة في وهران وتحصلت على عمل هناك، رفضت الزواج وهي لم تبلغ سن الرشد، مواصلة دراستها لتذهب نحو فرنسا وتتزوج بالرجل الفرنسي الذي اختاره قلبها حققت حلمها في أن تصبح طبيبة وكاتبة مشهورة، تخلت عن عائلتها وأكملت مسيرتها نحو الأمام غير آبهة بعواقب أفعالها تقول:«فليذهبوا جميعا إلى الجحيم! لن أراهم أبدا»[1]وفي هذا سخرية غليظة ممزوجة باللامبالاة، إذ لم تعد الكاتبة مهتمة بمصير أفراد عائلتها، أكدت ذلك لما أردفت قائلة "لن أراهم أبدا" إذ لا حاجة لها بهم فهي لن تلتقي بهم طوال حياتها لتلتصق بها صفة التمرد والعصيان وعدم الخضوع لأي أحد، مهما كانت سلطته عليها ومكانته عندها لتعيش في معزل عن الآخرين.

5-5 اغتراب الذات: تعد شخصية مليكة مقدم هي الشخصية المغتربة ذاتيا في هذه الرواية فمعاناتها في قريتها وعزلتها في فرنسا ساهما في اغترابها. والمقصود بغربة الذات:« هي إدراك الفرد بأنه أصبح مغتربا عن ذاته ونافرا منها. وهي حالة فقد الاتصال بين الذات الواعية للفرد والذات الفعلية أو الذات الحقيقية، ويتجلى ذلك في صور السلوك اللاواقعي والشعور بالفراغ، والفتور والملل. فالفرد الذي ينفصل عن ذاته الحقيقية وعن مشاعره وحاجاته ونزواته يشعر أن وجوده أصبح أمرا غير حقيقي، أي أنه لم يعد له وجود»[2]فالإنسان المغترب ذاتيا ينفر من الآخرين بغية الوصول إلى الراحة والسكينة ليبدأ صراعه مع نفسه ؛ وتتفاقم حالة الهروب من الآخرين فيهرب حتى من نفسه ليضحي شخصا مغتربا عن ذاته تسيطر ذاته المزيفة على ذاته الحقيقية، ويصبح كل شيء كأنه معاد ومعاكس له.

يتجلّى اغتراب الذات للبطلة في مقاطع عدة في المتن الروائي يبدو ذلك في الاضطرابات النفسية الظاهرة على شخصيتها وحتى في الكلمات التي تنتقيها في وصفها لنفسها مثل قولها:« هل هذه عادة مني كمغتربة وكمريضة بالأرق، أن أحكي قصصا وحكايات؟ وهل هذا خوف من أن أضيع؟ هل من أجل تنويم تهديدات المجهول؟ وهل

---

[1] مليكة مقدم: المتمرد، ص181.

[2] اجلال محمد سري: الأمراض النفسية والاجتماعية، عالم الكتب،بيروت،لبنان،ط1، 2003م، ص119.

هي طريقة في التواجد على الرغم من كل شيء»[1] تفرغ مليكة حزنها وحسرتها في استفهام طويل بحثا عن إجابات تمنحها تعريفا لذاتها وسط ما تواجهه والذي كان مجهولا بالنسبة لها كأي مغترب عن الوطن زادته غربة الذات هما فوق هما، إذ كان هذا المجهول تهديدا لها تحاول هدهدته وتنويمه كالطفل الصغير عله يبوح لها بالقادم الصعب أو علها تتعايش معه وتشاركه تباريحها المنكسرة تماما كقلبها المغترب عن كل شيء، كل هذا أفرغته في استعارة مكنية في عبارة "هل من أجل تنويم تهديدات المجهول؟" إذ شخصته كشخص يهددها أكثر مما جعلته خطرا أو حالة من الغياب المخيف، تنعت نفسها بأنها إنسانة مغتربة عن ذاتها، فمعاناتها من الأرق ساهم في تغذية هذا الإحساس حتى أنه ولد لديها الخوف من الضياع كما حثها على إثبات وجودها رغما عن العقبات التي اعترضت طريقها فالإنسان المغترب عن ذاته « يحس بأن ذاته أصبحت غريبة عليه قد يحقد عليها، وقد يرتكب بعض السلوكيات التي تتنافى مع ما يؤمن من قيم وأفكار.» [2] وهذا مانلمسه على شخصية البطلة من خلال قولها في مقطع من الرواية:«إنه دفاع وحصار البكاء، في النضالات الفردية، يعني التخلص من الذات. منح الذات كفريسة.تصورت عن نفسي صورة مغلوطة يمكن اختزالها إلى صور من الضعف والاستسلام»[3] فمراودة نوبات البكاء لها تجعلها تنفجر محاولة تفريغ تلك الشحنات الضعف والهوان التي لا تتقبل الاتصاف بها. فبالرغم من أنها حققت انتصارا لا بأس به لكن ذلك لم يحررها من مشاعر الضعف والانصياع والخضوع التي تمكنت منها، لتصبح فريسة سهلة رغم التجلد والقوة اللذان لطالما اتسمت بهما. تبكي محاولة إفراغ طاقتها السلبية وهي في هذه الحال تعود إلى نفسها مأنبة إياها ساخطة على تهورها لظنها أنها امرأة المدينة متناسية أصلها كونها ابنة صحراء الجزائر قروية بسيطة، تقول واصفة نفسها بالطيش والتحضر والبساطة:«أبكي وأنا أمرغ أنفي في وسادتي وأظهر حقدا وغضبا كبيرين على

[1] مليكة مقدم: المتمردة،ص20.

[2] صلاح الدين أحمد الجماعي: الاغتراب النفسي الاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي،دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010م،ص65.

[3] مليكة مقدم: المتمردة، ص102.

نفسي واصفة نفسي بالحضرية البسيطة والطائشة.»[1]رغم هروبها من قبيلتها نحو فرنسا لإنقاذ نفسها من ضياع الأحلام المنشودة التي بنتها ورسمتها في مخيلتها وخطت خطوات متسارعة نحوها إلا أنها فقدت نفسها وسط كل تلك التحولات الحاصلة في حياتها. وسعيها لتحقيق تقدم واضح في مشوارها والحصول على رغباتها، حتى ممارسة المحرمات التي منعت منها في الجزائر شكل شخصيتها المغتربة عن ذاتها. وأذابت كيانها داخل الكتابة تقول: «طريقة لاقتلاع ذاتي من سراب لحظة زمنية. طريقة لاستسلامي من جديد، لمطهر الكتابة من غير وثاق»[2]وظفت صورة بيانية من خلال تشخيص الكتابة وهي شيء معنوي من خلال إلحاقها بصفة لشيء مادي حيث شبهتها بالعدو الذي يستسلم له ويخضع لأمره ناقلة لنا بذلك صورة عن استسلامها وضعفها أمام الكتابة، فكل ما مر عليها أفقدها شعورها بذاتها لتصبح مغتربة بعد قطيعتها مع عائلتها ليأتي الدور على الآخرين والعالم الخارجي، وينتهي بها المطاف إلى فقدان جوهرها الذي تخلت عنه، على الرغم من عودتها إلى الجزائر بعد مضي سنوات كثيرة لم يخلصها ذلك من الاغتراب المسيطر على كيانها.

عادت إلى بلادها بعد أن أضاعت نفسها في فرنسا التي ظنت لوهلة أنها الأرض الخصبة لنمو أحلامها واقتطاف ثمرات تعبها وجهدها وتسمح لها بتحقيق ذاتها هناك، لكن بقي شعور الضياع والنفور ملاحقا لها دائما أينما كانت وأينما حلت.

5-6 العزلة:يقصد بالعزلة «انفصال الفرد عن تيار الثقافة السائدة و تبني مبادئ أو مفاهيم مخالفة،مما يجعله غير قادر على مسايرة الأوضاع القائمة، و العزلة درجة من الانفصال بين الأفراد والجماعات من منظور التفاعل والاتصال والتعاون والاندماج العاطفي والاجتماعي»[3] بمعنى آخر هي فقد الفرد اتصاله مع أفراد عائلته ومجتمعه بسبب عدم توافق أهوائه وأفكاره مع ثقافتهم، وفشله في تقبلها وهذا ما يقود به إلى نوع من أنواع الاغتراب وهو

[1]مليكة مقدم:المتمردة ،ص103.

[2]المصدر نفسه، ص181.

[3]إجلال محمد سري: الأمراض النفسية و الإجتماعية،ص120.

الاغتراب الاجتماعي الذي يحدث نتيجة عدم اقتناعه بالقيم الاجتماعية والأعراف السائدة في محيطه والعادات والتقاليد التي تسيطر على عقول العائلات، لهذا يكون أفضل شيء يفعله للنجاة من كوابيس مجتمعه هو الانسحاب والانفصال عنه، ونتيجة هذا الانفصال يشعر الفرد إما بفراغ نفسي يؤثر سلبا عن شخصيته،أو راحة نفسية تزيد من ثقته، و كلاهما يغوصان به إلى أشد أنواع الاغتراب وهو الاغتراب النفسي.

والعزلة من بين مظاهر الاغتراب النفسي التي حفلت بها الرواية قيد الدراسة، حيث اتخذت منها مليكة مقدم متنفسا لترميم ذاتها والتصالح معها، فالراحة النفسية التي تنعش روحها تجدها من خلال اعتزالها للعالم الآخر، ولقد سردت مليكة قصة بداية اعتزالها في سطور روايتها "المتمردة" خلال مراحل حياتها التي قضتها في فرنسا والجزائر، موضحة فيها أن العزلة كانت في نظرها مصدرا لتحطيم المواهب وإذلال المرأة والحط من شأنها، ومثال ذلك نجده في أمها التي يفترض أن تكون سندا لها في الحياة، ومنبعا للطاقة الايجابية التي تشجعها على فرض وجودها في المجتمع الذكوري، لكنها وجدت فيها عكس ما تمنت فهي تريد فرض سلطتها عليها باعتبارها البنت البكر التي يجب أن تكرس وقتها و حياتها للأعمال المنزلية و خدمة والدها و اخوانها في صمت وبدون نقاش تقول:«إن حب الأمهات يقاس بقدرتهن على تصفيح بناتهن ضد مشاكل الحياة، وبدون أن أغير شيئا وبدون أن أتبرم، سأعرف هذا ولكن في وقت متأخر جدا، في هذه اللحظة وحده يحاصرني حرمان رهيب، وارتباك من شعور ناشئ من الظلم ولكن هذه الانطباعات لا تكفي لتفسير أشكال الرعب وحاجتي الى العزلة.»[1] إن التأثير البالغ الذي حققه الحرمان على نفسيتها بدا ظاهرا من خلال قولها "يحاصرني حرمان رهيب" تمكن منها لدرجة أنه حاصرها من كل الجوانب، ولم تروقها طريقة العيش هذه ولم تكن راغبة في البقاء على الهامش، ومن هنا بدأ ميلها للعزلة و حب الانفراد بنفسها فكانت القراءة هي الحل الأنسب للتخفيف من عزلتها والتحليق بعيدا عن العالم وتفاهاته تقول معبرة عن سعادتها بانفصالها عن الآخرين:«القراءة طوال الليل والنوم صباحا والعيش بمعزل عن الآخرين على

[1] مليكة مقدم:المتمردة،ص25.

الطريقة الأمريكية يسمح لي من التخلص من الأنشطة التي تفترس الأيام وترعبني.»[1]وظفت الاستعارة من خلال عبارة "الأنشطة التي تفترس" مشبهة الأنشطة بالوحش الذي ينقض على فريسته حذفت المشبه به وهو والوحش وتركت قرينة دالة عليه وهي صفة الافتراس.

إنّ ميل بطلة الرواية للعزلة دليل على أنها لم نستطع التأقلم والانسجام مع قوانين أسرتها وعدم اندماجها النفسي مع ثقافتها البدائية حول المرأة،ولهذا كانت في كل مرة تختفي عن الأعين حاملة بين أيديها كتابا تقلب صفحاته بشغف كبير ليأخذها إلى عالم المثالية والكمال وينجيها من الغوص في الحياة العائلية.

وكان حبها للعزلة يزداد يوما بعد يوم، ففرحتها يوم وصولها للثانوية وانفصالها عن عائلتها كانت لا توصف وأخيرا ستحقق حريتها وتتخلص من ذلك المكان الذي كبس على أنفاسها، فبعد انهائها لجامعتها في وهران وتحصلها على شهادة الطب غادرت الجزائر مع زوجها الفرنسي "جون لويس" إلى فرنسا وبالتحديد مدينة"مونبيليي" وهناك طرقت عالم العزلة من جديد خصوصا بعد فشل علاقتها مع زوجها وانفصالهما، هناك ظلت وحيدة تحيط بها ذكرياتها معه وتحن إلى أيامها معه وتفتقد إلى مشاعر الحب والدفيء الذي كان يغمرها بها تقول «لقد غادر هذا الصباح، أنا وحيدة في السرير، وحيدة هذا المساء في رائحتنا»[2]وهو تعبير عن مدى ألمها ومعاناتها جراء انفصالها عنه والذي زاد من عزلتها أكثر فأكثر، حتى أنها لم تجرؤ على ذكر اسمه تتكلم عن زوجها باستعمال ضمير الغائب كأنها تعطيه صفة غياب دائم عن حياتها لتبقى وحيدة في عالمها، لكنها في كل مرة كانت تجد من يؤنس وحدتها وهذه المرة انتقلت من القراءة إلى الكتابة، فبعدما كانت القراءة والعزلة حرياتها الأولى في الصحراء، وطريقتها في الرحيل، أصبحت الكتابة عالمها الثاني الذي تسر إليه وحشتها في "مونيبليي" نلمس ذلك في قولها:« حين أكتب أنسى نفسي، يمكن قضاء أربعة أو خمسة أيام وأكثر دون أن أرى أحدا»[3] اقتصر نسيانها

---

[1] مليكة مقدم:المتمردة ، ص112.

[2] المصدر نفسه،ص9.

[3] المصدر نفسه، ص219.

لنفسها في ممارستها لفعل الكتابة فقط، فإيرادها لكلمة "حين" تجعل فعل النسيان مرتبطة بوقت الكتابة فقط فحياة البطلة في "مونبيلي" محصورة بين منزلها والعيادة التي تعمل فيها، حبها للعزلة والوحدة منعاها من الاندماج والمشاركة في الحياة الاجتماعية هناك، ولم تكن لها رغبة في إقامة علاقات حميمية مع أفراد المجتمع الفرنسي، على خلاف صديقة واحدة تدعى"ماتيلدا" كانت تتصل بها بين الحين والاخر، وسبب ذلك راجع إلى الأعمال الإجرامية التي يقوم بها الاحتلال الفرنسي في الجزائر وسياسة التجهيل التي يحارب بها عقول الشعب الجزائري، إضافة إلى ذلك القتل والاغتيال ; الذي كان يطارد المثقفين هناك، ففي كل مرة يصلها خبر وفاة أحد كبار المثقفين الذي جمعته معها لقاءات كثيرة وهذا ما زاد من عزلتها، فأخذت من الكتابة وسيلة لإفراغ غضبها في أوراق الكتب وبين السطر والسطر كانت تمارس عزلتها بعيدة عن الحياة الاجتماعية في "مونبيليي"وقد ورد هذا على لسانها:«أصبحت أعيش معتزلة على صخرتي العالية، ولا أشارك الحياة الاجتماعية في مدينة مونبيلي، لا أشارك فيها أبدا، أنا أعيش على الهامش، في صمت وسكينة منزلي، غيورة من وحدتي، لا أحس نفسي مستعدة لترك أي كان يشوش عليها»[1].وهنا بلغت العزلة ذروتها في شخصية البطة حيث انتقلت من عزلة عائلية إلى عزلة اجتماعية لأنها ضاقت ذرعا بالزمن الحاضر والتناقضات التي تسود المجتمع الجزائري و الفرنسي معا.

يمكن القول أن بطلة الرواية عاشت حالة من الاغتراب النفسي ظهرت معالمه على شخصيتها من خلال غوصها في عالم العزلة وإعلان انفصالها عن العالم الآخر وسبب ذلك باختصار يعود إلى:

- عدم تقبلها لثقافة المجتمع الجزائري ونظرته السلبية التي تنقص من قيمة المرأة.
- الحرمان العاطفي الذي عاشت فيه داخل الحرم العائلي وشعورها بالتهميش.
- فشلها في الحياة الزوجية بسبب عدم تقبل الطرف الآخر حبها للكتابة.
- الأوضاع الاجتماعية المزرية التي آلت إليها الجزائر من طرف الاحتلال الفرنسي.

[1] مليكة مقدم:المتمردة، ص219.

5-7 القلق:من مظاهر الاغتراب النفسي للشخصية نجد القلق ونقصد به:«حالة من عدم الارتياح و الخوف من خطر غامض غير معروف يمكن أن يكون داخليا في نفس الفرد أو خارجيا في بيئته المحيطة به.»[1] ويعد القلق من بين الحالات التي تمزق شخصية الفرد وتلج به في صراع داخلي يصعب الخروج منه، إذ لا يفارقه التفكير في الماضي، والقلق على المستقبل المجهول بسبب الأوضاع والظروف الصعبة التي يعيشها والضغوطات النفسية التي تسبح داخله.وقد صورت الرواية البطلة مليكة على أنها شخصية قلقة وحائرة يشوبها في بعض الأحيان حزن كبير وألم شديد وقلق عظيم يعبر عن مدى تيهها في عالمين متناقضين لم تستطع الهروب منهما، فالأوضاع المزرية التي تعيشها كونت بداخلها مزيجا من الخوف والقلق الرهيب حول حاضرها ومستقبلها التي تتطلع لبنائه كما تشاء، هذا القلق من الآتي نهش ذاتها وشوه شخصيتها و داخلها في جوف الكوابيس لتخاصم النوم ويصبح الأرق رفيقها الدائم.

بما أن الرواية عبارة عن سيرة ذاتية لحياة مليكة مقدم فإننا نجدها تسرد معاناتها مع القلق والاضطرابات النفسية التي رافقتها منذ الصغر وبالتحديد الجو العائلي الذي ترعرعت فيه، فطريقة العيش تلك لم تكن راضية عنها من ناحية الفقر الذي حرمها أبسط حاجياتها، ومن ناحية أخرى قلقها حول مصيرها إن ظلت تحت سلطة والديها، ولهذا كانت تقضي ساعات الليل تفكر في حل لحياتها، تقول معبرة عن قلقها:«ليس العطش سوى لحظة الصحو من القلق الطويل الذي ينتهي به الأمر إلى إخراجي من تحت غطائي في أية ساعة من الليل، في البداية اختناق رهيب، ثقل ساحق، زمن متوقف، أتخبط أستيقظ بإحساس يقول لي لن أنجح أبدا»[2]. الذكريات عند مليكة جرعات مركزة من العطش الدائم لحظة الصحو من القلق الذي تغلق على نفسها داخله، هذا القلق الذي ينتشلها من فراشها كلما دقت عقارب الساعة ليلا ليضيق عليها الخناق، فتعاين عن كثب الثقل والتخبط الذي اجتاحها وكله يخبرها أنها لن تفلح أبدا. وتشخص الكاتبة "القلق الطويل" على أنه إنسان يخرجها من فراشها ليلا

[1] عبد الحميد محمد الشاذلي: الاغتراب النفسي لدى الشباب الجامعي،ص17.

[2] مليكة مقدم: المتمردة،ص23.

ويضيق عليها الخناق بشدة، إذن فهذا هو مصدر القلق الذي يمزق شخصية البطلة بالتفكير الدائم في حل ينجيها من الواقع المزري والتحليق في الأفق.

عاشت البطلة حالة القلق بكل معانيها عندما غادرت مقاعد الدراسة وأغلقت عليها أبواب المنزل، حيث كانت المدرسة منبع الحرية التي لطالما سعت إليها وهي صغيرة، وبمجرد بداية العطلة الصيفية بدأت هواجسها وحواراتها الداخلية التي لا تقف لحظة في التفكير حول مصيرها، فمن جهة تفكر كيف ستقضي هذه الأيام في بيت منعزل عن الآخرين لا يرى منه سوى الرمال الذهبية وهي تصارع أشعة الشمس الحارقة، ومن جهة أخرى تفكر في الخطر الذي يلاحقها إن قرر والدها حرمانها من التعلم، سيما أن تعلم المرأة في نظره يتوقف في المرحلة الابتدائية أما الثانوية والجامعة فهما من المحظورات عليها، ولا مكان يليق بها سوى المكوث في المنزل لخدمة إخوتها والقيام بشتى أنواع الأعمال المنزلية دون تبرم أو إلحاقها ببيت زوجها عند أول طلب لها. هذا التفكير الدائم حول مصيرها أدخلها في متاهة القلق التي كانت في كل مرة تحاول الخروج منه والتخفيف من حدته بهروبها إلى الصحراء، حيث تستقبلها حبات الرمل الساخنة لتمتص غضبها وقلقها، هناك المنفذ الوحيد لإفراغ مكبوتات نفسها في صفحات الكتب تقول:«هوة الصحارى الحوضية، في الأسفل تسجنني في سجن ضيق، في الأسفل، تسود الكوابيس، في الأسفل ألتصق بالكتب كي لا أموت من الغصة خلال أربعة أشهر التي تتخلى فيها عني المدرسة»[1]ربطت فعل التخلي بالمدرسة كأنها هي من أفلتت يدها وغادرتها رغم أن العكس هو ما حصل، فمليكة هي التي غادرت المدرسة بسبب العطلة الصيفية وهو تعبير عن عدم تحملها المكوث في المنزل تنتظر انتهاء العطلة الصيفية، وكأنها تريد مسابقة الزمن لاحتضان الحرية.

يواصل القلق الفتك بشخصية البطلة فينتقل من مجرد قلق حول مسيرتها الدراسية إلى قلق أكبر تمثل في ذلك الحلم الذي تتمنى الوصول إليه، فمنذ صغرها وهي تحلم بأن تصبح رائدة فضاء تتجول بين الكواكب. هكذا

[1]مليكة مقدم: المتمردة،ص84.

تقضي البطلة أيامها غارقة في الأحلام والتأملات، تارة تنسى العالم وما فيه وتحلق بين السحاب وتارة أخرى عندما تعود لوعيها وتكتشف أنها لم تبرح مكانها قط يحاوطها القلق من جديد، تقول معبرة عن حالتها:« أما أنا فقد كنت مسكونة بالرغبة من أن أصبح رائدة فضاء وفي ملامسة الفضاءات، كنت مستلقية على الأرض يداي تحت عنقي، والقلق يضايقني بعد التحليق، أي فضاء يمكنني أن أترجاه؟»[1] بعد ذلك تسافر بنا الكاتبة إلى الضفة الأخرى من حياتها في "مونبيليي"حيث تصور لنا حياتها هناك وكيف تقضي يومها بين العمل في العيادة نهارا والكتابة ليلا فتسرد حالتها مع القلق الذي كبر معها ورافقها من طفولتها إلى شبابها ليصبح مصدره الأول عملها كطبيبة للاجئين و المهاجرين إلى فرنسا من البلدان المستضعفة و خصوصا المغرب، إذ أصبحت بالنسبة لهم بلسما لمعالجة جراحهم الجسدية والذاتية،أما هي فقد أخدت على عاتقها مهمة علاجهم والتخفيف عنهم ورغم أنها في بعض الأحيان تقسو عليهم إلا أن القلق لا يفارقها عند التفكير في معاناتهم ومصيرهم المجهول في بلاد الغربة، ونلمس ذلك من خلال قولها:«في حالة البلاهة الناتجة عن التعب وعن الحاجة إلى النوم، يطفو القلق إزاء موضوع مريض ما، الشعور بالفشل، الذي يكون أحيانا لاذعا، بخصوص مريض آخر، الارتياح الذي يحدث في كثير من الأحيان لحسن الحظ لإخراج البعض من المرضى من منطقة الخطر»[2]هنا تكمن سعادتها وينقص شعورها بالقلق حين تدرك أنها استطاعت انقاد حياة شخص طلب مساعدتها فأدت مهمتها على أكمل وجه، وظفت الاستعارة في قولها "يطفو القلق" شبهت القلق بشيء خفيف يطفو على سطح الماء مثل الورقة لتقوي المعنى وتوضحه أكثر.

إلى جانب ما قلناه نجده مصدرا آخرا يتولد منه القلق في شخصية البطلة و هو الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية المزرية التي تعاني منها الجزائر و الظروف الصعبة التي تحيط بشعبها، إذ لا تملك أي قوة تعينها على تغيير هذه الأوضاع سوى الكتابة،وفي بعض الأحيان تخونها الكلمات للتعبير عن حالتها النفسية

[1] مليكة مقدم:المتمردة، ص98.

[2] المصدر نفسه، ص38.

عند سماع أخبار سيئة عن بلدها، رغم أنها في كثير من الأحيان تعترف بعدم توافق ثقافتها مع ثقافته إلا أنها تحمل في باطنها حبا كبيرا له يجعلها تنتفض و تقلق عندما يهان شعبه .

ما يمكن قوله حول ما سبق أن شخصية بطلة الرواية عانت من القلق الداخلي والخارجي معا وكلاهما لم ينشأ من فراغ بل من مرارة الحياة والضغوطات النفسية والإحساس بالاغتراب الذاتي التي لقيته في الجزائر وفرنسا.

5-8 الخوف: يقصد بالخوف حالة نفسية ترتبط بداخل الإنسان، وقد عرفه علم النفس بأنه «شعور ينتج عن خطر حقيقي أو متوقع يدركه العقل الواعي فتثير في النفس انفعالات الاضطراب والقلق.» [1] فهو شعور ينم عن عدم ارتياح الفرد وترقب حدوث شيء سيئ، ونلمس معنى الخوف من خلال شخصية مليكة التي خاضت صراعا عميقا معه كي لا تسمح له بتحطيم قدراتها النفسية والجسدية.

عاشت البطلة اللحظة الأولى من الخوف في الجزائر حيث وصل إلى حد الرعب حين أراد والدها تزويجها وهي في سن الرابعة عشرة، محاولا إنهاء مشوارها الدراسي، في هذه اللحظة بالذات تلاشت أحلامها وحلقت طموحاتها على أجنحة الخيبة، خيبة كبيرة اجتاحت كيانها وغضب شديد استولى عليها من هذه الخيانة، فلم تكن تعلم أن والدها الذي قطع وعدا لمعلمتها الفرنسية بالسماح لها بإكمال دراستها قد أخلف وعده وخضع لطلب شيخ القبيلة الذي ارتأى أنها فتاة ناضجة قادرة على تحمل المسؤولية، سيل من الانفعالات النفسية يعصف بداخلها وخوف كبير تملكها، فكرت كثيرا في حل ينجيها من هذا السجن الذي بصدد دخوله، وانتهت بها الأفكار إلى حل فريد من نوعه لم تسبق لأي فتاة من قبيلتها بفعله، قررت الهروب من المنزل حتى لو كلفتها هذه الجرأة حياتها تقول:«أطلقت ساقي للريح، والخوف يجتاحني، لقد كان للفضيحة التي تسببت فيها هروبي وقع فوري، فمن هذا الذي سيطلب يد فتاة قادرة على الهروب.»[2]فرغم الخوف و الذعر الذي عاشته في ذلك اليوم بسبب قرار والدها وقرارها بالهروب، إلا أنها لبست ثوب الشجاعة ووضعت بين عينيها صورتها في المستقبل بعد

[1] لطفي الشربيني: موسوعة شرح المصطلحات النفسية انجليزي-عربي، دار النهضة العربية، بيروت،لبنان، ط1، 2010م، ص127.
[2] مليكة مقدم: المتمردة، ص123.

تحقيقها لأحلامها، هذه الصورة أعانتها على المضي قدما وضرب العادات والتقاليد عرض الحائط فنجدها تسخر من الحالة التي أوقعت بها أهلها بعد فضيحة هروبها من خلال عبارة"فمن هذا الذي سيطلب يد فتاة قادرة على الهروب" متسائلة باستهزاء متلذذة بضربتها القاضية التي أثقلت كاهل عائلتها وشوهت صورتها في المجتمع.

بعد مرور هذه الغيمة المليئة بالرعب بردا و سلاما على بطلة الرواية، يعود الخوف ليرتسم على محياها حين انتقلت للجامعة في مدينة وهران لدراسة الطب، حيث بقيت وحيدة بين جدرانها تتخيل الطلاب بين أرجائها، ولقاءات العشاق في زواياها، تملكها خوف شديد من هذه الوحدة سيما أن المكان الذي تقبع فيه بعيد عن المدينة، تقول واصفة حالتها «ينتابني بعض الخوف من هذا الحي الجامعي الذي أفرغ فجأة، من ضحكه الزائد وغير المبالي ,هذا الحي المزروع وسط مستنقعات، والبعيد جدا عن المدينة (...) استمع إلى صمته ولدي انقباض في صدري.»[1]استعملت الروائية صورة بيانية في عبارة "هذا الحي المزروع وسط مستنقعات" وهي كناية عن بعد المنطقة التي يتواجد فيها الحي الجامعي فقد شكل هذا الصمت المنتشر في زواياه خوفا كبيرا في نفس مليكة، أصبحت تتخيل أمورا سيئة تزيد من خوفها، لتهاجمها انفعالات نفسية تجاوزت الخوف ووصلت إلى حد الذعر، ورغم أنها كانت من محبي العزلة والوحدة إلا أنها لم تستطع مقاومة هواجسها، فتحول خوفها الطبيعي إلى خوف من المشاعر التي تجتاحها،تقول مصرحة بخوفها الشديد:« أعتقد أنني خائفة بشكل خاص، من صمتي الخاص، خائفة من الخجل الذي يسحقني، لقد كنت خائفة من التعب ومن القلق المتراكمين.»[2]

أيضا عبرت البطلة في موضع آخر عن الخوف الذي استبد بها بسبب الظلم والاحتقار والاشمئزاز الذي لقيته من أفراد مجتمعها ونظراتهم لها، حين حضورها احتفالا ليليا مع عائلتها في مدينة بشار، في البداية لم تكن ترغب بالذهاب لكن اصرار عمتها أقنعها، ولم تكن تدرك حجم الرعب الذي ستلقاه هناك، إذ تعرضت للاعتداء اللفظي والجسدي هي وأختها الصغرى من قبل مجموعة من الشباب كان الخمر قد سلب عقولهم، وكان سبب

[1] مليكة مقدم:المتمردة، ، ص168.

[2] المصدر نفسه، ص168.

الاعتداء عدم ارتدائهما الحجاب. فكان لهما أن سمعتا أشد أنواع السب والشتم، في البداية لم تظهر مليكة خوفها كانت ترد عليهم بكل شجاعة حتى أنها استقبلت كلامهم البدئ بصفعتين مدويتين أثارت غضبهم، عند هذه النقطة دق ناقوس الخطر ليعلن لها حجم الكارثة التي ستحل عليها، لا تدري ماذا تفعل فالخوف والذعر كبلا جسدها لتصبح عاجزة عن التحرك، لم يكن خوفها في تلك اللحظة بسبب ما سيفعلونه هؤلاء الشباب بها فقط بل تعدى ذلك إلى خوفها من المجتمع الذي سيلومها ويقذف في عرضها وإن كانت بريئة فلباسها سيكون خير دليل لهم على تورطها، كما خافت من والدها الذي لن يكلف نفسه بسؤالها عن كيفية حدوث الاعتداء، كما خافت من أمها التي ستتحول منزلها إلى نار تحرق روحها كل يوم، كل هذا الخوف عصف بكيانها في تلك اللحظة وهي متسمرة أمام المعتدين، تقول وهي تصف صورتها في ذلك الموقف:« انتابني الخوف، فالتقطت يد أختي واندفعت وسط الساحة في اتجاه الزاوية التي يفترض تواجد أبي وعمي فيه، كانت سرعتنا جامحة، بينما كانت الجماعة تطاردنا في غضب مستعر. وكنت أثناءها أتلقى كل أنواع المقذوفات والضربات والشتائم»[1] لم تكن شخصية البطلة ضعيفة بل كانت على عكس ذلك لا تهاب أحدا ولا تخشى المصاعب، لكنها حين وضعت أمام الأمر الواقع لم تعرف كيف تتصرف، فقوة الخوف فاقت شجاعتها، أذاقتها رهبة كبيرة حفرت آثارها في ذاتها، بالمقابل أدركت أنها مادامت تعيش في مجتمع تحكمه قوانين وعادات وتقاليد فإنها إن تجرأت وتجاوزتها سترافقها لعنة الخوف في كل مرة تجرب حظها.

سببت هذه الحادثة التي عاشتها البطلة اضطرابات نفسية كبيرة ترأسها الخوف، ما أحدث صراعا كبيرا في شخصيتها أدى بها إلى رسم خطوط حمراء بينها وبين العالم الآخر (المجتمع الجزائري) لتصبح إنسانة مغتربة نفسيا. عاشت مليكة مقدم حالة الخوف وهي في كنف بلدها فكيف لها ألا تعيشه وهي مغتربة في بلد لاوجود فيه للأهل والخلان، حتى الحبيب فارقها وتركها تصارع موجات الخوف وحدها، فبعد أن كان خوفها مصدره مؤثرات خارجية

[1] مليكة مقدم:المتمردة،ص140

آتية من المجتمع الذي تعيش فيه أضحى خوف داخلي تحركه الأفكار السلبية التي تنمو بمجرد تفكيرها بمصيرها المجهول تقول:« هل هذه عادة مني كمغتربة مني كمغتربة وكمريضة بالأرق أن أحكي قصصا من أجل تنويم تهديدات المجهول؟ وهل هي طريقة في التواجد على الرغم من كل شيء»[1]هكذا كان الخوف يرقص على أنغام حياتها، تحاول في كل مرة تنويمه من أجل البقاء لكنه في كل مرة يثبت وجوده، ويعكر مزاجها حتى أنها في كل مرة يستيقظ فيها تلجأ إلى الأحلام الجميلة التي تقضي عليه، فتتخيل النجاح الذي ستحققه بعد أن صعدت سلم التحدي تقول:«حين يجعلني خوف مفاجئ أستشف أهمية الهاوية في مسيري، فإنني أتعلق بأكثر مشاريعي طموحا "سوف أكتب كل هذا، ذات يوم" هذه الصرخة الجوانية بعثت في عودة تصميمي، ذات يوم سيكون ملقى على عاتق الكتابة توضيح حرية الخسارات والأحزان التي مازالت تقلق طريقي.»[2]ومنه فإن سطور الرواية تعكس حجم المعاناة النفسية التي تواجهها البطلة ومن ضمنها الخوف الذي بسط نفوذه في حياتها وتربع على عرش شخصيتها، ليشكل حاجزا بينها وبين طموحاتها واهتماماتها، فالقارئ للرواية يستشف من خلال كلماتها مدى الاخفاقات التي أصابتها. والمكنونات النفسية التي نسجها الواقع من خيوط الخوف والرعب والرهبة التي أحدثت تصدعا كبيرا في مكونات شخصيتها لكنها وبالرغم من كل هذا هي مصممة على بلوغ مرادها يظهر تصميمها من خلال عبارتها "سوف أكتب كل هذا، ذات يوم" معبرة عن يقينها بأن الغد يحمل لها أمورا جميلة.

إنّ سلسلة الخوف التي دفعت بشخصية البطلة إلى الاغتراب النفسي، أدت بدورها إلى رميها في دوامة الصمت الذي يعد مظهرا من مظاهر الاغتراب النفسي الذي تجسد في شخصية مليكة مقدم.

5-9 الصمت: عبارة عن حالة نفسية تنتاب الفرد فتجعله يحبس العبارات والكلمات في داخله بسبب مؤثرات خارجية لم يستطع مواجهتها. واذا بحثنا عن الصمت في مكامن الرواية نجده قد حفر ندوبه في شخصية البطلة وطوق عليها الخناق، ورغم أنها هي من اختارته لكن تبقى الظروف التي تعيشها السبب في جعله صفة ملازمة لها

[1]مليكة مقدم:المتمردة، ص، ص 20،21.

[2]المصدر نفسه،ص61.

وقد بدا جليا حين تعرضت للاعتداء من طرف بعض الشباب كما ذكرنا سابقا، فبعد مضي الحادثة بخير وسلام عليها وعلى أختها فوجئت صباح اليوم التالي بخبر هز كيانها وهو أنه تم العثور عليهما تزنيان مع الجنود، عند هذا الحد أدركت أن غضبها وثورتها على المجتمع لن يجدي نفعا فلا توجد آذان صاغية تسمع صراخها بسبب الظلم والاحتقار الذي لقيته، والذي زاد الطين بلة أن بعض النساء كن حاضرات وقت الحادثة لكنهن أنكرن ما شاهدنه وألقين اللوم عليهما بحجة عدم ارتدائهما للحجاب، هذا ما زادها يقينا أن المجتمع الجزائري مجتمعا ذكوريا بامتياز ولن يجدي تمردها معه لذا قررت السكوت عن الحق، وهنا سقطت في حفرة الصمت، وحبست كل المشاعر و الانفعالات النفسية والكلمات الملتصقة بين شفتيها بداخلها، تقول:«أقطع اللسان في رأسي وأبصق كل تعاقداته، أعض التعابير الأكبر قسوة وأقطعها بشكل دائم جدا، أشحذ السن والجواب.» [1] اعتمدت الكاتبة خاصية التجسيد في إعطاءها لأمور معنوية صفات مادية كقولها "أقطع اللسان" "أعض التعابير" لتبين لنا أنها أخرست تلك الأفكار التي تدور في عقلها، فهي لا تريد سماع أي صوت بداخلها،انطوت على نفسها تماما لتثبت أن الصمت أصبح أنيسا لها في هذه الحياة.

إذا ولجنا في شخصية "مليكة "نجد أن الصمت كان حاضرا معها في العديد من المواقف التي اختارت فيها عدم المواجهة والاكتفاء بالسكوت إذ اعتبرته منقذها من الواقع المزري الذي تتخبط فيه، بالأخص عائلتها التي لم يجدي معها الكلام، حيث نجدها تكتم العبرات والكلمات التي تتصارع داخلها وتصر على عدم إخراجها للعلن لضمان مستقبلها، فمند وفاة جدتها التي أغنتها عن الحياة وما فيها انكسر تجبرها، وأخرس لسانها الذي كان يطلق نيرانه الحارقة باتجاه والديها دون خوف، ليصل بها المآل إلى السكوت خشية حرمانها من دخول الجامعة فاستعملت لغة الصمت لكسب رضى والديها تقول: «منذ وفاة جدتي، ولأني أعرف الآن أن أي استبعاد يمكنه أن يمنعني من ولوج الجامعة، لم أعد أقول شيئا لأي أحد، لم تعد لدي أي رغبة في رؤية أمي و هي ترتعد و تثور،

[1] مليكة مقدم: المتمردة، ص141.

و كأن السماء ستهوي على رأسها كلما فتحت فمي.» [1] تفرغ مليكة حسرة صمتها في فترة تواجدها مع عائلتها في قالب تشبيهي مستعملة الأداة كأن لتصرح من خلالها كم كان صوتها —وصوت النسوة عامة- محاصرا ومغموما، بل هي تعلم جيدا أن الصمت في تلك المرحلة من حياتها أفضل من المواجهة التي لم تعد تطبقها، ولم تعد لها الرغبة في خلق نقاشات حادة ليس لها حل، فلا هي تقبل الخضوع لأوامرهم ولاهم يسمحون لها بخرق القوانين والقواعد التي تسير حياتهم.

أما في فرنسا فقد اتخذت من الصمت وسيلة للتخلص من الهزائم المتوالية التي تتلقها من الواقع، حيث لم تعد لها القوة للتعبير و تحمل المزيد من الانكسارات التي يسببها تكلمها فحين عودتها من العيادة تكون نفسها قد أرهقت من ثرثرات المرضى و مشاكلهم، فتلجأ إلى الكتابة وتفتح ذراعيها للصمت لينجيها من الخراب الموجود في المجتمعات، هذا ما أزعج زوجها "جان لويس"وأفقده صوابه، فأكثر صفة يمقتها فيها هي صمتها الذي لم و لن يتقبله ما أحدث فجوة كبيرة في علاقتهما، ففي كل مرة يلومها على إهمالها له و تفضيلها السكوت على النقاش معه كانت توجه له كلمات حادة تؤكد له للمرة الألف أنها مستعدة للتخلي عنه إن حاول ثنيها عن الكتابة، فهي غير ملزمة بتغيير صفاتها من أجله، وفعلا كان لها ما أرادت فبعد مرور الأيام و استمرار المشاكل بينهما انفصلت عنه وقطعت علاقتها معه فكان الصمت شاهدا على هذا الانفصال تقول:« حين أصل إلى بيتي، أول حركة أقوم بيها تتمثل في انتشال الهاتف، فقطع الاتصال، ونشر الصمت، هي طريقي في الرحيل.» [2] كل تلك العبارات "نشر الصمت"، "قطع الاتصال"، الرحيل" دالة على التأزم والتمزق الحاصل لدى البطلة ،كلها تختصر محاولاتها في التملص والهروب من الجميع. وتقول في موضع آخر «جان لويس لا يريد أن يرى الأمر هكذا مازال يرفض تصديق الأمر (...) مرة أخرى قال بهمس بمجرد أن بدأت بالكتابة انتابني شعور بأنك صعدت على قاطرة تاركة

[1] مليكة مقدم: المتمردة، ص 154.

[2] المصدر نفسه، ص 27.

إياي على الرصيف.» [1] فبعد المأساة التي سببها لها الصمت إلا أنها غير مستعدة لمفارقته، بل وتتخلى عن كل شيء يقلق راحتها و يحاول تغيير نظام حياتها.

يبدو أن الصمت الذي يقبع داخل شخصية بطلة الرواية دليل على التوتر النفسي الذي يسيطر على ذاتها، فهي لم تعد لها القدرة على مسايرة الأوضاع البائسة التي تدور حولها، خصوصا المعاناة التي لقيتها في الآونة الأخيرة، حيث تعرضت للكثير من التهديدات بالموت من أشخاص مجهولين قرروا وضع حد لحياتها بسبب ما تكتبه من كلمات تعبر فيها عن كرهها و سخطها و تمردها على الواقع، في البداية لم تكن تدرك حجم الخطر الذي يلاحقها بسبب كتاباتها لكن بعد كثرة التهديدات التي تصلها كل يوم عبر الهاتف، استيقظت من سباتها لتعلم أنها على وشك السقوط في الهاوية، فما كان عليها سوى الاتصال بالشرطة الفرنسية علهم يلقون القبض عليهم انتهى بها المطاف إلى مغادرة المنزل بضعة أيام حتى تستطيع الشرطة إيجاد مخرج للورطة التي وقعت فيها. وكان بيت صديقتها "ماتيلدا"ملجأها الوحيد وبعد مضي فترة لا بأس بها في منزلها وفتح عيادتها لكن هذه المرة قررت الصمت والسكوت عن الكتابة لفترة سيما عندما اجتاحها خوف كبير على عائلتها في أن تصل يد المجرمين إليهم تقول:« في هذا المساء حل محل كثير من الضمانات ضد التوجس والخوف، أعد السنوات، أزن الصمت بل وأتوسل حتى إلى ما يعجز اللسان عن وصفه كي أطمئن نفسي. كل هذا يتوجب عليه أن يحمي عائلتي من كتاباتي ومن مواقفي» [2] استعملت الاستعارة المكنية موضحة حياتها مع الصمت بقولها "أزن الصمت" مشبهة إياه بالخضر أو شيء قابل للوزن كأنها من خلال هذه العبارة توحي لنا لخوفها من زيادة جرعة الصمت التي تطبقه يوميا، ولقد تجلى في الرواية كمظهر اغترابي لازم شخصية البطلة من بداية القصة إلى نهايتها، وكان صمتها يختلف في كل مرة ففي بعض الأحيان تخلد إليه بإرادتها وبكامل حبها له، إذ تجد فيه شفاء للضغوطات النفسية والانفعالات التي تفتك بشخصيتها، وفي أحيان أخرى يكون صمتها عن إجبار والزام يفرضه عليها الأشخاص

[1] مليكة مقدم: المتمردة، ص،ص،28،27.

[2] المصدر نفسه،ص183.

الذين هاجمتهم بكلماتها القاتلة وأصابتهم بسهامها في كتاباتها.ليضحى هذا الصمت بنوعيه من بين نتائج الاغتراب النفسي الذي أصابها و أشعرها بالوحدة و العزلة في هذا العالم.

5-10 البحث عن اللذة:

يعتبر البحث عن اللذة مظهرا من مظاهر الاغتراب النفسي للشخصية و قد تطرقنا إلى تفاصيله في نظرية "سيغموند فرويد" للتحليل النفسي، حيث يذهب إلى أن سبب اغتراب الفرد و إحساسه بالنبوذ و التهميش في مجتمعه وعدم قدرته على إشباع غرائزه الجنسية ة العدوانية و عدم تحقيقه لرغباته التي تصب في دائرة المحظورات.

و لقد تجلى هذا المظهر في الرواية بصورة واضحة نلمسه من خلال اعتراف البطلة بعدم قدرتها على العيش في بلد يطارد رغباتها و يحبس غرائزها داخلها، فالشعب الجزائري تحكمه قواعد وقوانين دينية تتحكم بالعلاقات الاجتماعية و يبين ماهو ممنوع اختراقه و ماهو مقبول، و للأسف كانت شخصية مليكة تميل لكل ماهو محظور ومحرم تسعى إلى الوصول للذة التي تشعرها بالانتصار والقوة، فكانت في كل مرة تحاول خرق القواعد التي يتحكم فيها الأنا الأعلى المسؤول عن إدارة شخصيتها فتصطدم بالواقع، ليعود"الهو" أدراجه خائبا وغاضبا على الأنا والأنا الأعلى، فيلعن ثورته عليهما وفي خضم هذا الصراع يحدث إنشطار في شخصيتها يؤدي بها إلقاءها في دوامة الاغتراب النفسي.

عانت مليكة على حد تعبيرها من تعاسة كبيرة بسبب المكبوتات والرغبات التي لم تستطع إخراجها من مكامنها، ما حرمها من العيش في سعادة و راحة نفسية، حسب قولها فإن سعادتها تتحقق باحتراق الحاجز الديني و التلذذ بالمحرمات، لكنها في كل مرة تزداد يقينا بأنها مادامت تحت جناح عائلتها لن تحقق شيئا من رغباتها ولن تصل إلى اللذة التي ترجوها وسيظل الصراع بين مكونات شخصيتها وبين الواقع الجزائري قائما إن لم تنفصل عنه تقول:«أنا كائن لذة خارج السرير، أيضا المحرمات والممنوعات، وبؤس الطفولة والمراهقة، كل ذلك أعطاني مزاج

امرأة باحثة عن اللذة.» [1] هو اعتراف صريح وجريء من فتاة جزائرية تحكمها قيم دينية و قواعد إسلامية لا يمكنها تجاهلها،هذا الاعتراف أثبت أن بحثها عن اللذة رغم ما تعرفه عن الممنوعات التي لا يجب الاقتراب منها دليل على أنها امرأة متمردة تقودها غرائزها إلى ما هو صعب المنال، لتتحدى العالم بأسره من أجل الحصول على فرصة تفرغ فيها مكبوتاتها.

لم تعترف بطلة الرواية أبدا بالثقافة الإسلامية المنتشرة في عقول الشعب الجزائري، كما لم تعطي أية أهمية للتعاليم الدينية التي تقيد رغباتها، كان كل شيء ترغب به حلال في قاموسها، ففي سطور الرواية نلمس حبها لشرب الخمر وإقامة العلاقات الغير شرعية واللباس العاري و الحفلات الليلية، كل هذا بالنسبة لها من مستلزمات الحياة حتى أنها كانت موافقة على عرض جسدها للناس بحجة التخفيف من الضغط النفسي الذي يحاوطها تقول:«الظهور بمظهر جميل، هو أيضا تطبيع الجسد على لغة اللذة، التحدي ضد الانفجار الداخلي.» [2]

إنّ كمية اللاوعي الذي يسيطر على شخصية البطلة لم يستطع التوافق مع قيم المجتمع الجزائري فتعرضت لما يسمى بالقمع الاجتماعي الذي حرمها من إخراج المكبوتات التي تتوغل داخل نفسها، ما أدى بها إلى عيش حالة نفسية صعبة أحست من خلالها بالضعف والانكسار والانفصال عن محيطها.

[1] مليكة مقدم: المتمردة،ص57.

[2] المصدر نفسه، ص142.

خاتمـــــة

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة الموسومة "**بالاغتراب النفسي للشخصية في رواية المتمردة لمليكة مقدم**" توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات تجسدت في:

– تعددت معاني ومفاهيم الاغتراب بتعدد دارسيه من علماء النفس وعلماء الاجتماع وكذا الأدباء والفلاسفة، مما جعله مصطلحا متشعبا ومنفتحا على عدة مجالات.

–الاغتراب النفسي ظاهرة اجتماعية نفسية وأزمة إنسانية تكشف الجانب المظلم والخفي من حياة الإنسان وقد وجد طريقة في الرواية ليصبح قضية أدبية تبناها العديد من الأدباء في أعمالهم الروائية.

– فسرت العديد من النظريات السيكولوجية عملية حدوث الاغتراب النفسي من خلال الكشف عن الصراع القائم بين مكونات الشخصية (الأنا، الأنا الأعلى، الهو) الذي يحدث اضطرابات نفسية تظهر في سلوك الفرد فتجعله ينفصل عن ذاته وعن العالم الخارجي.

– تعتبر رواية المتمردة لمليكة مقدم رواية نفسية جسدت ظاهرة الاغتراب النفسي بحذافيره، من خلال المناجاة النفسية والصراعات الداخلية التي أحاطت بشخصية بطلة الرواية.

– يعد كل من الاغتراب الاجتماعي والديني والفكري والثقافي والعاطفي من الأسباب والبواعث التي تساهم في تشكل الاغتراب النفسي للشخصية.

– عكست رواية المتمردة حالة العجز والقلق والخوف التي سيطرت على البطلة بسبب الأوضاع المزرية التي عاشتها في عالمين متناقضين.

- سطرت مليكة مقدم في متن الرواية معاناتها من الاغتراب في بلدين مختلفين، الأول تمثل في الجزائر وهو مركز الاضطرابات النفسية التي مزقت شخصيتها وأجبرتها على مفارقتها، أما الثاني فهو فرنسا العالم البديل الذي وجدت فيه ذاتها الضائعة.

- تميزت شخصية البطلة المغتربة بالتمرد والرفض للواقع المعاش والثورة على مبادئه ونظمه الاجتماعية مما أدى إلى دخولها في عزلة اجتماعية حادة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: قائمة المصادر:

1) مليكة مقدم: المتمردة،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1،2004م.

ثانيا: المعاجم:

2) إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1426هـ/2005م.

3) ابن منظور(أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري): لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، 2005م، مجلد1.

4) الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): قاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، 1425هـ.

ثالثا:الكتب العربية:

5) أبو حيان التوحيدي: الإشارات الآلهية، تح: عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، مصر، ج1.

6) إجلال محمد سري: الأمراض النفسية والاجتماعية،عالم الكتب،بيروت،لبنان،ط1، 2003م.

7) أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي، في القرن السابع الهجري-دراسة اجتماعية نفسية- ، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013م.

8) أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية، بيروت،لبنان،ط1،2005م.

9) أسعد شريف الأمارة: سيكولوجية الشخصية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014م.

10)الحبيب شيبل: المجتمع والرؤية-قراءة نصية في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط1، 1993م.

11)حسين مناصرة: النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1،2007م.

12)حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

13)خولة دبلة: دور التصدع الأسري المعنوي في ظهور الاغتراب النفسي لدى المراهق، دراسة حالة بعض المراهقين في مدينة بسكرة-الجزائر، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015م.

14)ذياب قديد: المتنبي بين الاغتراب والثورة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011م.

15)سيد محمد غنيم: سيكولوجية الشخصية محدداتها، قياسها، نظرياتها، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، د ط، 1972م.

16)صلاح الدين أحمد الجماعي: الاغتراب النفسي الاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي،دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010.

17)عامر عبد زيد كاظم الوائلي: الأصولية نماذج مختارة من اليهودية-المسيحية-الإسلامية،المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية،دب، ط1، 2018م.

18)عبد الحق منصف: أبعاد التجربة الصوفية-الحب-الإنصات-الحكاية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2007م.

19)عبد الحميد محمد الشاذلي: الاغتراب النفسي لدى الشباب الجامعي،مجموعة أجيال لخدمات التشويق والنشر والإنتاج الثقافي، القاهرة، ط1، 2008،ص17.

20)عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2003.

21)عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية «زقاق المدق»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1995م.

22)عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1998م.

23)فيصل عباس: الاغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 2008م-1429هـ، ص19.

24)فيصل عباس:الإنسان المعاصر في التحليل النفسي الفرودي،دار المنهل اللبناني بيروت، لبنان،ط،2004.

25)لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي،دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013م.

26)لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

27)محمد الهادي بوطارن: الشعر العربي الرومانسي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2010م، ص22.

28)محمد عباس يوسف: الاغتراب والإبداع الفني، دار غريب،القاهرة، دط،2003م.

29)محمود سليم هيجانة: الاغتراب في القصيدة الجاهلية،دار الوضاح للنشر والتوزيع، الأردن، دط، 2005م.

30)منى أبو القاسم جمعة عبد الرحمن: الاغتراب الفكري والاجتماعي في الشخصية القومية العربية، جامعة قاريوس، ليبيا، ط1، 2008م.

31)يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، جامعة إربد الأهلية، الأردن، ط1، 2008م.

32)يوسف محمد رضا: معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص1108.

رابعا: الكتب المترجمة:

33)اريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، تر: حميد لشهب، شركة نداكوم للطباعة والنشر، الرباط، د ط، 2003م.

34)اريك فروم: المجتمع السوي، تر: علي مولا، د د، د ب، ط1، 2009م.

35)اريك فوم: الإنسان المغترب، تر: حسن حماد، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، د ط، 2005م.

36)جان لابلانش: معجم مصطلحات التحليل النفسي، تر: مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1997م.

37)سيغموند فرويد: قلق في الحضارة، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1977م.

38)لطفي الشربيني: موسوعة شرح المصطلحات النفسية انجليزي-عربي، دار النهضة العربية، بيروت،لبنان، ط1، 2010م.

39)وينفريد هوبر: مدخل إلى سيكولوجية الشخصية، تر: مصطفى عشوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1995م.

خامسا: الموسوعات:

40)أسعد رزوق: موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1987م.

سادسا:المجلات:

41)عبد المجيد حنون:شعرية الاغتراب في رواية بروكلين هايتس، مجلة التواصل الأدبي،نصف سنوية، مخبر الأدب العام والمقارن،الجزائر،العدد12، 2018م.

42)فاطمة جمشيدي: ملامح الاغتراب في شعر "على فودة" وردود فعله عليها، إضاءات نقدية، فصلية، د.دار، دب، العدد السابع والعشرون، 2017.

43)كريم أميري وآخرون: الاغتراب المكاني لدى المثقف في روايات سعد محمد رحيم 2003، آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، دب، العدد1، 1440هـ، ص11.

44)نسيمة عباس صالح: الاغتراب النفسي وعلاقته بتعلم مهارة الوقوف على اليدين في الجمناستك لدى طالبات المرحلة الثانية، مجلة علوم التربية الرياضية، ع3، د ب، 2011م.

سابعا:المذكرات:

45)بشير أعبيد: الهزيمة في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري،رسالة ماجستير،كلية الآداب واللغات قسم الأدب عربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2008/2009.

46)دانيال علي عباس: الاغتراب النفسي وعلاقته بالتحصيل الدراسي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم النفس التربوي، إشراف: بشرى علي، جامعة دمشق، 2015-2016م.

ثامنا: المواقع الالكترونية:

47)معاذ قنبر: الاغتراب في التحليل النفسي (نموذج فرويدي، يونغ، فروم)،

https://www.alaw.an.org 04/05/18:18،2021

48) www.ektab.com, 30/05/2021, 22:29

49) www.benhadouga.com, 01/06/2021,07:04

50) www.al.akhbar.com, 01/06/2021, 10:47

51) www.freedom-pdf.com,01/06/2021،04:07

الملخص:

تمحورت هذه الدراسة حول ظاهرة الاغتراب وبالأخص الاغتراب النفسي ومامدى تأثيره على الفرد، هذامالفت انتباه العديد من الباحثين والدارسين نظرا للخطر الذي شكلته على نفسية الأفراد، كما سعينا إلى تسليط الضوء على الاضطرابات النفسية التي تظهر على شخصية بطلة روايتنا "المتمردة" لمليكة مقدم من انعزال عن الآخرين واغتراب عن الذات وكذا تخبطها في مشاعر القلق والخوف والضياع جراء خوضها لصراع نفسي إثر معاناتها من حالة الاغتراب الذي تمكن منها وسيطر على كيانها.

الكلمات المفتاحية:الاغتراب النفسي–الاضطرابات النفسية–الشخصية– الانعزال– اغتراب الذات– القلق– الأنا –الآخر– الصراع النفسي.

Summary:

This study focusot on alienation, especially psycho logical one and its inpact on the individual. It caught the attention of diffoent researchers and scholns due to Its psychological danger on the individual. Mareover, we talked seriously about psycholegical disordens that appear on the personality of the Nouvel for «The Rebel» of Malika Mokeddem. that suffered from the isolation from others and self alienation as well as the psychological conflicts of ansciety, fear less as a nesult of engaging in a psychological struggle of the alienation iolich completely controled her.

Key words :psychologicalalienation- psychological disordens- personality- anxiety- ego- the other- psychological couflict.